13 me Année No. 628

Lundi - 10 - 7 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٢٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٧ شعبان سنة ١٣٦٤ — ١٦ يوليو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الثغر يضـــحك !

نعم ، يضحك ثغر الأسكندرية اليوم بملء شدقيه ، وعلى مضاحكه الغُرّ العِذاب سمات ، وفى ضحكاته المرجَّعة الموقَّعة دلائل ! يضحك بعد أن قضت عليه الحرب بالعبوس الظلام ست سنين لم يسكن فيها روْعه ، ولم يرْقأ دمعه ؛ فهو يضحك ضحكة الشامت بخطوب طغت ثم زالت ، ودول بغت ثم دالت ، وقوم أرادوا أن يسخروا الأقدارفسخرت منهم ، وطمعوا أن يصرّفوا الحظوظ فانصرفت عنهم ، ومغتر أشار إلى بحرالعرب(1) وقال إنه بحرنا ؛ فقال له القدر الراصد : لا ، بل قل إنه قبرنا !

* * *

والثغر يضحك من القاهرة كما يضحك أبيقور أو أبو نواس من الكلبيين أو المتزمتين الذين اتخذوا الحياة جداً من غير لهو ، وعبوساً من غير طلاقة ، وسعياً من غير جمام ، وخصاماً من غير بُقيا ، وعراكاً من غير هدنة ؛ ويقول وهو ينظر إلى البحر للعاصمة التى تنظر إلى الصحراء : إن الحياة زبد ورمال ، وموج وجبال ؛ ففيها الصلابة والمرونة ، وفيها الرصانة والرعونة ، وفيها العبث الذى يفور ويذهب ، والجد الذى يطمئن ويمكث ؛ وفيها المرح الذى يكتسى جمال الحياة ، والوقار الذى يرتدى جلال الموت . وهيهات أن تصلح الدنيا على المعالجة ، إذا لم تساعدها الطبيعة بهذه المزاوجة !

* * *

والثغر يضحك للقاهريين الذين يتهالكون من الجهد على أحضانه ، ويترامون من الكلال فوق شطآنه ، ويقول لهم : تعالوا إلى الصفاء المحض ، والسرور الخالص ، والوداد المصفق ، والشعاع الذى يعافى الجسد ، والنسيم الذى يرد الروح ؛ ودعوا القاهرة للساسة الذين أوقدوا فيها نار الخصومة فزادوا وهجها ، وضاعفوا رهجها ؛ وخلوا للزمان الحكم لهم أو عليهم ، فإنه لم يبق منهم أحد إلا اتهم الآخر ؛ فإن كان ما قالوه حقاً فليس فيهم صالح ، وإن كان ما قالوه باطلاً فليس فيهم صادق !

* * *

والثغر يضحك عند استانلى باى!وخليج استانلى كخليج عُمان؛ إلا أن اللآلىء هناك تغوص وهى هنا تعوم . ولآلىء عُمان مصونة فى الأصداف لا تنال إلا ببذل النفس ؛ أما لآلىء استانلى فعارية مبـذولة للنظر واللمس ! ومن لآلىء عمان ما يباع بخزانة فى مصرف أو مساحة فى منجم ، ولـكن من لآلىء استانلى ما يباع بقدح فى حانة أو عشاء فى مطعم ! وهذه أروع ما برأ الله فى العالم الناطق ، وتلك أبدع ما صاغت يده فى العالم الصامت ، ولـكنه فضل الصون على الابتذال ، وفرق ما بين الحرام والحلال !

* * *

والثغر يضحك فى وجوه المصطافين كما يضحك الشباب فى الأجسام ، أوالربيع فى الخمائل ! فترى الشيخ فى مرح الشاب ، والشاب فى نزق الطفل ، وكلهم يجتمعون فى وحدة من الأخاء والرخاء والعافية والأمن تشعرهم بأنهم عبيـد لإلـه واحد منعم ، وأبناء لوطن واحد مُنيل !

(الاسكندرية) **ابن عبد الملك**

(1) بحر العرب هو البحر الأبيض ، والمغتر هو موسولينى .

كيف تنام أعين العرب

عن اخوانهم في شمال أفريقية ؟

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً توطن العرب والمسلمون بلاد المغرب برقة وتونس والجزائر ومراكش . لم يذهبوا إليها مدفوعين بحب الغلبة القاهرة ، والسيطرة الغاشمة ، والفتح الذى يقصد به استغلال المغلوبين ، ولم ينتقلوا إليها ليجردوا أهل البلاد من خيراتهم ، ولا لينتزعوا منهم ديارهم وأموالهم ، ولا ليكرهوهم فى الدين ، ولا ليسلبوهم حريتهم ، ولا ليقضوا على كيانهم كأمة من الأمم التى لها حق الحرية والوجود

إنما حركتهم للفتح عوامل إنسانية ، وحفزتهم إلى الانتقال والترحل غايات نبيلة ومقاصد شريفة ، هى رفع الظلم الذى كان يرسف فيه أبناء البلاد ، وإزالة العسف الذى كانوا يلقونه من الحكام ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، إخراجهم من ظلمات الجهل والجور والفوضى والاسترقاق إلى نور العلم والعرفان والحرية والإخاء والعدل والإحسان ، ثم اندمجوا فيهم فصاروا أمة واحدة تعيش فى كنف من تعاليم الإسلام ونظمه ، بحيث لم يعد هناك فارق بين الحاكين والمحكومين ، وكانت الشرائع والأحكام التى يرجع إليها الناس فى مكة والمدينة واليمن والبصرة والكوفة ودمشق هى التى يدين لها بالطاعة والرعاية من فى مصر وبرقة والقيروان وبجاية وتلمسان وسبته وطنجة وفاس ومراكش ، كما ازدهرت فى هذه البلاد حركة علمية عمادها ثقافة الإسلام وعلومه وقوامها اللغة العربية وآدابها وعلومها وبخاصة فى مدينة القيروان

ثم تقلبت الأحداث والغير على تلك البلاد فى مختلف الحقب والأعصار إلى أن مُنيت بالاستعمار الأوربى من الفرنسيين والأسبانيين والإيطاليين فساموا أهلها سوء العذاب ، وأذاقوهم ألوان النكال ، وهم أمة أبية لا تنام على ضيم ، ولا تخلد إلى مسكنة أو مذلة ، فثار المسلمون والعرب غير مرة على طاغوت المستعمرين وبغى الولاة الظالمين ، لأنهم سلبوهم حريتهم الدينية والسياسية ، وضيقوا عليهم الخناق فى حريتهم الدينية ، وسلطوا عليهم كل وسائل الاستعمار التى تنخر عظام الأمم وتحولها شيئاً فشيئاً إلى مصيرها المحتوم من التأخر والانحلال ثم الثبور والفناء

هل أتاك نبأ ثورة أهل الجزائر الأخيرة ، إذ هضمت حقوقهم وسلبت حرياتهم ، وحيل بينهم وبين كل مشروع من أمانيهم القومية ، فقابلتهم فرنسا المستعمرة بالأسلحة الفاتكة والقوة الباطشة حتى أهريقت الدماء الزكية ، وأزهقت النفوس الرضية ، وشرد الأحرار ، وألقى بالمجاهدين فى غيابة السجون ؟

فهل يجوز للعرب والمسلمين فى أقطار الدنيا أن يسكتوا على هذه الحوادث الجسام ، وأن يسلموا إخوانالهم فى العروبة والإسلام لغول الاستعمار ؟ ! !

كلا ، فإن سمو نفوسهم ، ويقظة وجدانهم ، وما طبعوا عليه بحكم دينهم من الغضب للحق والتواصى به ، ومن التعاون على البر والتقوى ، ومن الشعور العميق بالوحدة والتكافل ، بحيث إذا اشتكى عضو منهم تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى — كل أولئك يوجب عليهم حكومات وشعوباً أن يهبوا لنصرة الضعفاء من إخوانهم أبناء المغرب بالدفاع عن حقوقهم ورفع نير الظلم والاستعباد عنهم

وعلى الحكومات الإسلامية عامة والحكومات العربية خاصة أن يطالبوا رسمياً الدولتين الفرنسية والإسبانية بكف يد العدوان والظلم عن تونس والجزائر ومراكش ، وعلى الجامعة العربية أن تطلب إجراء تحقيق محايد عن حوادث الجزائر الأخيرة ، كما أن عليها أن تختار مندوبين عن طرابلس وتونس والجزائر ومراكش ليمثلوا أممهم فى الجامعة ، وبذلك يمكن رفع الصوت بالنيابة عنها والدفاع عن حقوقها والمطالبة بحريتها واستقلالها . كذلك ينبغى أن يكون من واجبات مكتبى الدعاية المزمع إنشاؤها بلندن وواشنطون الدعوة إلى تلك البلاد بجانب الدعوة إلى فلسطين والدفاع عن حقوق العرب فيها ، والله فى عون الأفراد والأمم ما دامت الأمم بعضها فى عون بعض . سدد الله خطى العاملين وهداهم إلى سواء السبيل « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

حسن أحمد الخطيب

المفتش العام بوزارة المعارف

فى إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الأديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٨ —

* ج ١١ ص ٢٠٧ :

ملكنا فكان العفو منا سجية   فلما ملكتم سال بالدم أبطُح
وحللتمُ قتل الأُسارى وطالما   غدونا على الأسرى نعف ونصفح
فحسبكمُ هذا التفاوت بيننا   وكل إناء بالذى فيه ينضح

قلت : جاءت (أبطح[1]) بضم الطاء وهى بفتحها . والشعر لسعد بن محمد .

* ج ١٧ ص ٢١٠ : قال الحاكم أبو سعد : وأنشدنى (أبو الفتح بن الأشرس) أيضاً لنفسه :

كأنما الأغصان لما علا   فروعها قطر الندى قَطَرا
ولاحت الشمس عليها ضحى   زبرجد قد أثمر الدرا

نقد الحاكم على بيته فقال : قوله : (قد أثمر الدرا) لا يستقيم فى النحو ، لأنه لا يقال : أثمرت النخلة الثمر ، وإنما يقال أثمرت ثمراً بغير الألف واللام .

وجاء فى الشرح : قطر الندى : نقط المطر ، وقطر فعل ماض أى سال وسقط ، والجملة حالية .

قلت : (لما علا فروعها قطرُ الندى ثُرّا[2]) .

و (نقد الحاكم بيته) لا (على بيته) وأغلب الظن أن (على) من زيادة النساخ . يقال : نقده وانتقده ، وجاء فى الأساس : انتقد الشعر على قائله .

و (أثمر) هو فعل لازم كما قال أبو سعد ، وقد عداه المحدثون ،

(١) قلت : الأبطح : بطن السيل ولا ينبت كما فى المخصص ، ومن جموعه الأباطح ، والأبطح كل مكان متسع كما فى المصباح . والأسارى بضم الهمزة وفتحها .

(٢) الثر من السحاب الكثير الماء ، يقال سحاب ثر ، وثرت السحابة ماءها ثرثرا كما فى التاج . وعين ثرة : غزيرة كما فى الأساس .

وكأنهم رأوا فيه استعداداً للتعدية ... وهذا ما قاله فى شأنه الخفاجى فى (شفاء الغليل) :

أثمر يكون لازماً وهو المشهور الوارد فى الكتاب العزيز ، ولم يتعرض أكثر أهل اللغة لغيره . وورد متعدياً كما فى قول الأزهرى فى تهذيبه : يثمر ثمراً فيه حموضة . وكذا استعمله كثير من الفصحاء كقول ابن المعتز :

وغرس من الأحباب غيبت فى الثرى
فأسقته أجفـــانى بسح وقاطر
وأثمرها لا يبيـد وحسرة   لقلبى يجنيها بأيدى الخواطر

وقول ابن نباتة السعدى :

وتثمر حاجة الآمال نجحاً   إذا ما كان فيها ذا احتيال

وقول محمد بن الأشرس وهو من أئمة اللغة : (كأنما الأغصان ...) وقول ابن الرومى : (سيثمر لى ما أثمر الطلع حائط[1]) إلى غير ذلك مما لا يحصى . وهكذا استعمله الشيخ[2] فى دلائله والسكاكى فى مفتاحه[3] . ولما لم يره كذلك شراحه قال الشارح : استعمل الأثمار متعدياً بنفسه فى مواطن من هذا الكتاب فلعله ضمنه معنى الإفادة أو جعله متعدياً بنفسه .

ونقل (التاج) جل هذا الكلام ، وجاءت (ثرّا) فى الكتابين (نثراً) وهو تصحيف . وجاءت (ثراً ودراً) فى بغية الوعاة (سحراً ودرراً) وهو تبديل . وورد (ابن الأشرس) فى شفاء الغليل (لمن شرف) وفى التاج (ابن أشرف) وفى بغية الوعاة (ابن أشوس) وفى إرشاد الأريب (ابن أشرس) وفى دمية القصر (ابن الأشرس) .

* ج ٦ ص ١٥٤ :

والطير فوق الغصون تحكى   بحسن أصواتها الأغانى
وأرسل الورق عندليب   كالزير والبم والمثانى

قلت : (وراسل الورق عندليب) والشعر للجوهرى صاحب الصحاح .

فى التاج : « راسله فى كذا ، وبينهما مراسلات . والرسالة

(١) الحائط البستان من النخيل إذا كان عليه جدار .

(٢) عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الاعجاز

(٣) قلت : من كلام أحمد بن يحيي البلاذرى : غرس البلوى يثمر ثمر الشكوى .

المجلة المشتملة على مسائل . وهو رسيله فى الغناء ونحوه ، وراسله الغناء . باراه فى إرساله » .

* ج ٢ ص ١١٩ : وأنفذا أبا بكر بن رافع إلى إستراباذ ونواحيها لاستيفاء ما يستوفيه من العاملين والتّناء فيها . فقيل : جمع الوجوه وأرباب الأحوال ...

وجاء فى الشرح : وفى الأصل العاملين (مكان العاملين) والتناء فيها هكذا فى الأصل ولعلها والتناهى فيها أى التشدد وبلوغ النهاية فى الاستصفاء وجمع المال .

قلت : (أستراباذ) بفتح الهمزة والتاء كما ضبط ياقوت لا بكسرهما كما جاء فى الكتاب . و (العاملين) الأصل قد تكون صحيحة . و (التناء) مثل السكان جمع التانىْ وهو الدهقان[1] كما فى القاموس . والذى هو المقيم ببلده واللازم كما فى التاج . وفى الأساس : هو من تناء تلك الكورة إذا كان أصله منها . ويقال : أمن تنائها أنت أم من طرائها .

* ج ٦ ص ٢٧٧ :

رسمُ دارٍ وقفتُ فى طَـلَلِـهْ كدتُ أقضى الغداةَ من جَـلَلِـهْ

قلت : ضبط (رسم) بالضم ، وهو بالكسر لأنه مجرور برب المحذوفة . والبيت وهو لجميل بن مَعمر — من شواهد الجماعة . قال ابن يعيش ... والثانى ما يحذف ولا يوصل الفعل ، فيكون الحرف المحذوف كالمثبت فى اللفظ ، فيجرون به الإسم كما يجرون به وهو مثبت ملفوظ به ، وهو نظير حذف المضاف وتبقية عمله نحو ما كل سوداء تمرةً ولا بيضاء شحمةٌ[2] وكقوله :

أكلَّ امرئٍ تحسبين امرءاً ونار توقد بالليـــل نارا

على إرادة كل ، ومن ذلك قول الآخر : (رسم دار ... البيت[3]) أراد رب رسم دار ثم حذف لكثرة استعمالها .

و (أقضى) المشددة فى الكتاب هى (أقضى) كما روتها رواة الشعر .

* ج ١ ص ١٢١ : ... عن النبى أنه قال للنساء : إذا جعتُنّ خجلتن ، وإذا شبعتن دقِعتن .

قلت : إنكُنَّ (إذا شبعتن خجلتن وإذا جعتن دقعتن[1]) والحديث مصنوع .

* ج ١٥ ص ٣٩ : أين أنا عن ذَوب لا شوب فيه ، وعن صوب لا جدد دونه[2] .

وجاء فى الشرح : الجدد الغليظ من الأرض قلت : لا حدد دونه بالحاء . يقال : دون ما سألت عنه حدد أى منع ، ولا حدد عنه أى لا منع ولا دفع كما فى التاج . والقول فى رسالة عبقرية لأبى حيان التوحيدى .

* ج ١٨ ص ٢٣٠ :

قرهت عينى من طول البكا وبكى بعضى على بعضى معى

وجاء فى الشرح : فى الأصل : قرهت بمعنى اسودت أوجمدت ، وفى طبقات الأطباء : شقيت . ولو أن لى حق التصرف لجعلتها قرحت ، وهى أقرب إلى قرهت .

قلت : مرهت . فى القاموس : مرهت عينه كفرح خلت من الكحل أو فسدت أو ابيضت حماليقها والنعت أمره ومرهاء . وفى مستدرك التاج : وقوم مره العيون من البكاء وهو جمع أمره[3] .

---

(١) الدهقان : التاجر ، وزعيم فلاحى العجم ، ورئيس الأقليم (القاموس)

(٢) وإن شئت نصبت شحمة كما قال سيبويه .

(٣) فى أمالى القالى : فعلت ذاك لجلك وجلالك أى لعظمتك فى صدرى . وأنشد الأصمعى لجميل (رسم دار) ورويت من غير هذا الوجه تفسير من جلله من أجله . يقال : فعلت ذاك من أجلك وجللك وجلالك .

---

(١) قلت : فى النهاية : خجلتن : أراد الكسل والتوانى لأن الخجل يسكت ويسكن ولا يتحرك ، وقيل : الخجل أن يلتبس على الرجل أمره فلا يدرى كيف المخرج ، وقيل الخجل هنا الأشر والبطر من خجل الوادى إذا كثر نباته وعشبه . وفى اللسان : دقعتن أى خضعن ولزقن بالتراب ، والدقع الخضوع فى طلب الحاجة والحرص عليها مأخوذ من الدقعاء وهو التراب أى لصقن بالأرض من الفقر والخضوع .

(٢) قلت : فى الأساس : هو أحلى من الذوب بالاذوابة أى من العسل الذى أذيب حتى خلص من الشمع — بالزبدة التى أذيبت وخلص منها السمن وفيه : وسقاهم صوب السماء وصيبها .

(٣) فى ديوان الخنساء :

مرِهتْ عينى فعينى بعد صخر عطفه
فدموع العين منى فوق خدى وكفه
إن نفسى بعد صخر بالردى معترفه

* ج ١٠ ص ١٧٧ : وقال (الحسين بن مُطَير) :

رأت رجلاً أودى بوافر لحمـــه
طلابُ المعالى واكتساب المكارم

خفيف الحشا ضرْباً كأنّ ثيابه
على قاطع من جوهر الهند صارم

فقلت لهـا : لا تعجبِنّ فإننى
أرى سمن الفتيان إحدى المشائم

وجاء فى الشرح : (ضرباً) : من ضرب فى الأرض ذهب بنفسه وخرج تاجراً أو غازياً أو إلى غير ذلك .

قلت : الضرب الرجل الخفيف اللحم كما فى الصحاح وغيره . و (المشائم) هى (المشاتم) بالتاء .

* ج ١٦ ص ٢٥٦ : قال إسحاق بن راهَوَيه : يحب الله الحق ؛ أبو عُبيد (القاسم بن سلام) أعلم منى ومن أحمد بن حنبل ومن محمد بن إدريس الشافعى . قال : ولم يكن عنده ذاك البيان إلا أنه إذا وُضِع وُضِع .

وجاء فى الشرح : إذا وضع وضع كناية عن أنه كان كافياً فى كل شىء .

قلت : إذا وضَع وضَّح : إذا وضع أى ألَّف وصنف وضح وأبان وإن لم يكن للسانه ذاك البيان .

فى (وفيات الأعيان) لما وضع كتاب الغريب (المصنَّف) عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال : إن عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق ألا يحوج إلى طلب المعاش ، وأجرى عليه عشرة آلاف درهم فى كل شهر . قال محمد بن وهب المشعرى : سمعت أبا عبيد يقول : مكثت فى تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة .

قلت : من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان فى (دار الكتب المصرية) عمرها الله !

* ج ٩ ص ٨٧ : ومن عبث الخاطر وهوسه أبيات تشوفت فيها الحجاز ...

وجاء فى الشرح : فى الأصل : تشرفت .

قلت : تشوفت بالفاء ، يقال تشوفه وتشوق إليه ، وتشوق مثل اشتاق ومطاوع شوّق . وتشوف إلى الشىء تطلع ، ورأيت نساء يتشوفن من السطوح أى ينظرن ويتطاولن[1] كما فى اللسان

* ج ١٥ ص ١١٦ : قال الصاحب وتوفرت على عشرة فضلاء البلد ، فأول من كارثنى أولاد المنجم لفضل أبى الحسن على بن هارون وغزارته واستكثارى من روايته ... فاتفق أن سألت أول ماسمعت اللحن[2] فيه (فى شعر له) عن قائله فغضب ... وقال : تقول لن هــذا ، أما يدل على قائله ... أما ترى أثر بنى المنجم على صفحته ، أما

يحميه لألاؤه أو لوذعيته
من أن يذال بمن أو ممن هو الرجل

وجاء فى شرح (كارثنى) أى اشتد علىّ وعارضنى وفى شرح (يدال) يدال : يقال أى يتداول الناس فيه القول والسؤال بمن وممن .

قلت : (كارث) غير معروفة . وفى اللسان كرثه الأمر ساءه واشتد عليه ، وبلغ منه المشقة ، وأكرثه كذلك . والمقام لا يقتضى مثل هذه اللفظة كما لا يقتضى (كاثره) أى غالبه أو فاخره بكثرة مال أو عدد . وأغلب الظن أن الأصل (قابلنى) أو (قاربنى) ومن معانى قاربه : ناغاه وحادثه بكلام مقارب حسن ، والمقابلة هنا أليق من المقاربة .

و (يدال) هى (يذال) بالذال ، أى يهان . والقول هو بيت لأبى تمام من قصيدة فى المعتصم بالله ، قال :

يحميه لألاؤه أو لوذعيته
من أن يذال بمن أو ممن هو الرجل

وفى هذه القصيدة :

يستعذبون مناياهم كأنهم
لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا !!!

---

(١) ربما كان الأصل : وينطالن . فى الأساس : ورأيت النساء ينطالن من السطوح . وفى اللسان فى (طَنل) : ويقال رأيت نساء يتطاللن من السطوح أى يتشوفن وإن كان التطاول والتطال بمعنى واحد .

(٢) لحن الموسيقى ، مفرد ألحان .

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

— ٤ —

اللغة والسلوك والذكاء — اللغة والحب — أعاجيب لغوية — تعابير منتقدة .. ..

(١)

«نحن نفكر وننبعث بالكلمات ، وسلوكنا فى البيت والشارع والحقل والمصنع هو قبل كل شىء سلوك لغوى ، لأن كلمات اللغة تقرر لنا الأفكار والانفعالات ، وتعين لنا السلوك كما لو كانت أوامر، بل نستطيع أن نقول إن سيادة البريطانيين على الهنود ، أو المتمدنين على المتوحشين هى إلى حد ما سيادة لغوية ، أى مجموعة خصبة وافية من كلمات المعارف والأخلاق تحدث براعة فى الفن وتوجيها فى السلوك يؤديان إلى السيادة وأحياناً إلى العدوان» ص ١٠ .

« ومما لا شك فيه أن هناك بين المتوحشين والبدائيين أذكياء من الطراز الأول ، ولكن ذكاءهم يبقى عقيما ، لأنهم حين يفكرون يجدون تفكيرهم محدوداً بالتراث اللغوى المحدود الذى ينطقون ويفكرون بكلماته ، واللغة لهذا السبب هى أعظم المؤسسات الاجتماعية فى أية أمة ، لأنها الوسيلة لتحريك الذكاء فى أبنائها ، ولتوجيه أخلاقهم بكلماتها التى تعبر عن المعرفة أو العقيدة أو الحكمة » ص ٩٣ .

هنا ينظر الأستاذ إلى اللغة بعين واحدة ، لأنه رجع إليها وحدها التفكير والسلوك ، وأغفل تأثير المجتمع فيها ، فليست اللغة وحدها هى التى تحفز وتدفع ، وليس المجتمع سبيكة تصوغها اللغة وتشكلها ، لأن اللغة تؤثر فى المجتمع وتتأثر به ، بل لعل تأثرها بالمجتمع أقوى من تأثيرها فيه ؛ لأن المجتمع هو الذى وضعها وأنشأها ونماها ورعاها ، فلا شك أن المجتمع وجد قبل أن توجد اللغة ، ولا شك أن المجتمع هو الذى صاغ هذه اللغة فى آماد متباعدة ليعبر بها عن حاجاته ، فالحاجات أسبق من اللغة المعبرة عنها ، والقول بأن اللغة وليدة المجتمع ومرآة لحياته أصدق من الزعم بأن المجتمع وليد اللغة وصورة منها .

فقد نهض المسلمون أولا ، وبسطوا سلطانهم على الشرق والغرب ، ثم تأثرت لغتهم بحياته الجديدة فاتسعت ومرنت ووجدت فيها ثقافات لم تكن لهم من قبل.

ونهضت مصر والشرق العربى فى هذا العصر ، ثم اتسعت اللغة بما طرأ عليها من فنون ، استجابة لهذه النهضة .

ومن ذلك أننا الآن نترجم ونؤلف ونضيف إلى اللغة مصطلحات جديدة فى الطب والقانون والاجتماع والاقتصاد والكيمياء وغيرها ، أفنحن استجبنا لروح النهوض ثم استخدمنا اللغة لتحقيق هذا النهوض، أم أنا كنا نعرف هذه المصطلحات وهى التى أوحت إلينا بهذا النهوض ؟ لا شك أن اللغة هى التى خضعت لحاجتنا وتأثرت بنهضتنا .

ولو صدقنا الزعم بأن اللغة هى الخلاّقة والفعّالة لكانت النتيجة الطبيعية أن سكان الهند وجنوب إفريقية الذين يتكلمون بالانجليزية ، وسكان تونس والجزائر الذين يرطنون بالفرنسية — فى صف واحد مع الانجليز والفرنسيين ، لأن اللغة هى اللغة .

ثم ما للشرق تخلف عن ركب الحياة بعد أن كان الرائد والقائد ، ولغته هى لغته إن لم تكن قد زادت ثروة من الكلمات والتعابير وسعة فى الخيال ؟

وما لنا نرى كثيرين جداً من المثقفين الدارسين لأكثر من لغة يتنكبون الفضيلة وهم على علم بما يقترفون ؟ ويعدون صوالح أمتهم وأنفسهم وهم على بينة أنهم عادون ؟ إن كانت اللغة هى الحافز والملهم فلماذا لم تحفزهم إلى الخير وتلهمهم نوازعه .

إن اللغة لا تحفز إن لم يكن خلفها رصيد من قوة الخلق ، وسمو الروح ، والطموح إلى مثل أعلى ، أما اللغة وحدها فزجاجات

منلقة على معان لا ينتفع بها إلا من يتذوق مراميها ، ويفقه معانيها ولو كان الشأن للغة وحدها لسما كل من حفظ كلمات : المجد ، والشهامة ، والمروءة ، والنجدة ، والعزة الخ .

(٢)

« يجب أن نذكر أن كثيراً من توجسنا من الحب واختلاط الجنسين يرجع إلى أننا نستعمل كلمات الحشاشين سوء أكانت فصحى أم عامية فى وصف هذه العلاقات الجنسية بدلا من كلمات العلماء أو المثقفين ، ولذلك كلما فكر بعضنا فى الحب أو اختلاط الجنسين على الشواطئ أو العرى خطرت بذهنه كلمات توحى البذاء أو العهر فيصد ويصرخ فى الدعوة إلى انفصال الجنسين » ص ٨٤ .

ما شاء الله !

هل الغُيُر على الخلق الكريم أن يتدهور ، وعلى عفاف المرأة أن يخدش ، وعلى سمعة الأسرة أن تلوث ، وعلى العرض أن يهتك ، إنما يصرخون بدعوتهم لأنهم يستعملون كلمات الحشاشين التى توحى إليهم بالبذاء والعهر والفجور ؟

وهل الذين يتوجسون من الحب أن يغلب الهوى العقل ، وأن يجر ويلات على الفتيان والفتيات ، إنما يتوجسون لأن قاموسهم اللغوى منحط ؟ .

ومن الظريف أن هذا الأستاذ الداعية إلى اختلاط الجنسين على الشاطىء فى عرى وتهتك قد ضرب المثل على صحة دعواه بأن المثقف يرى المرأة العارية فيتذكر الرشاقة ، والجاذبية ، والصحة الخ والرجل المتأخر أو (الحشاش) يراها فيتذكر اللذة ، والأرداف ، والقبلة الخ .

فأية صيحة منكرة هذه الصيحة ؟

وماذا بقى من الدعوة الجريئة المكشوفة إلى العرى والاختلاط والإباحية ؟

هى دعوة خاطئة خاطلة بنيت على أساس خاطىء واهٍ نقدناه فى تأثير اللغة . وأنا أسأل الأستاذ :

أكل من يقعون فى المحرم ويسطون على الأعراض من غير المثقفين ؟

أو كل مثقف يخالط على الشاطىء امرأة عريانة لا يفكر فى المتعة الجسدية ؟

أنستطيع أن ندعى أن الثقافة تميت الغريزه ؟

أيتذكر مثقف الخفة والرشاقة والجاذبية ثم ينقطع به خياله عند هذا الحد ؟ وماذا بعد الإعجاب والخفة والرشاقة والجاذبية ؟

أيرى مثقف امرأة ذات خفة ورشاقة وجاذبية ويعجب بها ثم يسجد لله إقراراً بقدرته وتفرده فى صنعته ؟

وهل هذه المرأة دمية أو تمثال حتى يقنع منها بالنظر ؟

وإذا كان المثقف كثيراً ما تعجبه الوردة الناضرة فلا يقنع منها بالنظر ، بل يقطفها ويشمها ، وكثيراً ما تروقه القطة الأليفة الجميلة فلا يكفيه منها الرؤية ، بل يلمسها ويداعبها ، فلم يزعم زاعم أن المرأة الحسناء العارية أو غير العارية تروعه ثم يخالطها ، ولكنه يتبتل ويترهب !

إن الداعين إلى هذا البلاء ليسوا إلا مغالطين مخادعين يفترون على عواطفهم ؛ ويكذبون فى تحليل نفوسهم ، أو تجاراً يبغون هدم ما بقى لهذه الأمة من حسن الأخلاق

— ٣ —

« ومن الأخافير اللغوية كلمات (الدم) و(الثأر) و(العِرض) فى بعض مديريات الصعيد ، فإن هذه الكلمات تؤدى إلى قتل نحو ثلاثمائة امرأة ورجل كل عام » ص ٥٢

أكاد أشفق على هذا الكاتب الذى يخبط ويخلط فيما يكتب ، ويتردى ثم لا ينهض إلا ليكبو ، فإذا كانت دعوته إلى الاختلاط والعرى مستورة بستار شفيف فإن دعوته هذه مكشوفة مفضوحة تطل بقرنيها من خلال كلماته

إنه يريدنا على أن نمحو من لغتنا كلمة (العرض) فلا نغار ، وكلمة (الثأر) فنذل ولا ننتقم ، وكلمة (الدم) فتهدر حياتنا وحياة أعزائنا فلا نثأر ! !

إن الديك الذى لا يعرف كلمة (العرض) يغار على دجاجاته ، ويصد عنهن الجنيب الغريب ، والديك الذى لا يعرف كلمة (الدم

أو الثأر) بصون عزته فيناضل من يعتدى عليه ، وإن كان أشد منه مراساً وأقوى شكيمة .

أفننتكس نحن فنكون أقل من الديك غيرة وحمية ؟

ولن يزعم إنسان أن لغة الشمال وبقية مديريات الجنوب خالية من كلمات الثأر والدم والعرض ، فلما ذا لا تكثر هناك جنايات القتل ؟ أنتهمهم فى رجولتهم وكرامتهم وشرفهم ؟ لا ، فليس مرد حوادث القتل إلى اللغة ، ولكن إلى ظروف أخولعل منها : الجو، والفقر ، والضغائن الموروثة ، والضرب إلى الأصل العربى بعرق ، والاعتزاز بالشرف الذى تخدره موجات المدنية الداعرة . فلاجريرة للغة فى هذا ولا دخل

وإذا سلمنا جدلا أن الثأر للكرامة ، وأن صون العرض من جرائر اللغة فما أحبها جريرة . والخير إذن أن تبقى هذه الكلمات حية تعمل فى النفوس عملها ، لا أن تسمى (حفائر)

أيها الغُيُر على الأعراض فى مصر ! خففوا من غلوائكم ، بل أميتوا غيرتكم ، والغوا رجولتكم ، فإنكم همج فى رأى الأستاذ سلامة موسى !!

أيها الطامحون إلى الاستقلال التام ، الثائرون للكرامة والحرية المغصوبة ! رويدكم فإنكم متأخرون فى زعم كاتب من كتاب مصر !!

أيها الآباء ! أيها المربون للجيل الجديد ! أيها الواضعون للقاموس اللغوى الجديد ! احذفوا من لغتكم كلمات العرض والثأر والدم وأضرابها لتنشئوا نعاجاً لا تثأر ولا تثور ولا تغار !

— ٤ —

« وما زلنا نلتزم عبارات مقتبسة يعافها الذهن الذكى ، ومرجع هذه العبارات تلك البلاغة العاطفية الانفعالية التى تعلمناها وغرست فى نفوسنا قيمة مزيفة للاستعارة والمجاز ، فما زالت صحفنا مثلا تقول :

عرض على بساط البحث ، بدلا من عرض للبحث

وخاض غمار القتال ، بدلا من قاتل

وحمى وطيس الحرب ، بدلا من حمى القتال

ودارت رحى المعركة ، بدلا من دارت المعركة

ووضعت الحرب أوزارها ، بدلا من انتهت المعركة الخ

ونحن نستغنى عن الاستعارة حين يمكن الاستغناء عنها أو حين تعكس مجتمعاً يخالف مجتمعنا » ص ٧٣

ولكن الاستعارة — ما دامت فى موضعها ، وصدى لشعور الأديب وانفعاله وخياله — جوهرية فى النص لا يمكن الاستغناء عنها ، وإلا فقد التعبير عن النفس قيمته وقوته وجماله

ولا عيب فى أن تشير بعض الاستعارات إلى حياة سابقة ، لأن الكلمات التى نكتب بها ونشعر ، لها تاريخ وأعمار وأطوار وأحوال مرت بها تخالف فى كثير أو فى قليل المعانى الجديدة التى نطلقها عليها الآن ، وما زالت اللغات الحديثة حافلة باستعارات تعكس صوراً قديمة ليست قائمة ، بل إن بعضها يشير إلى أساطير عتيقة .

وأنا أبين خطأ الأستاذ فى عيبه هذه التعابير التى تتداولها الأقلام :

١ — « عرض على بساط البحث » : يتوهم أن هنا زيادة يمكن الاستغناء عنها ، ولكن المعنى إذا حذفت كلمة بساط ليس كالمعنى بها ، فكلمة بساط أفادت أن البحث واسع، حر، واضح، متكشف للباحثين جميعاً كأنه شىء على بساط أمام الناظرين ، والتركيب إذن تشبيه بليغ من إضافة المشبه به إلى المشبه

٢ — « خاض غمار القتال » : والغمار من معانيها الشدة ، والمزدحم ، وشدة الظلام ، والخوض فى الأصل للماء ، فالصورة الخيالية هنا أن الميدان غاص بالمحاربين ، وعددهم كالبحر الزاخر ، وهذا المحارب شجاع ، لأنه خاض هذا الميدان المهيب الرهيب ، وهذا معنى لا تؤديه كلمة (قاتل) ، لأن المقاتلة تكون بين اثنين أو أكثر ، وتكون بحماسة وشجاعة كما تكون بجبن وفزع

٣ — « حمى وطيس الحرب » : وهى جملة ابتكرها النبى

عليه الصلاة والسلام يوم حنين لما تجالد القوم

والوطيس فى اللغة التنور ، وحفيرة تحفر فتوقد فيها النار للاشتواء ، والمراد حمست الحرب ، وعظم الخطب ، فهنا استعارة رائعة مبنية على تشبيه الحرب بالنار ، لحرارة الضرب بالسيوف أو المدافع أو القنابل ، وللحرارة التى يوقدها فى جسوم المحاربين ما عليهم من سلاح ، وما يقومون به من حركة ، ثم لأن الحرب تأكل الرجال ، وتفنى الأبطال كما تأكل النار الحطب

ولذلك قالت العرب : « أوقدت نار الحرب » ؛ وقال تعالى : « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » .

وقال زهير :

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة   وتضرَ إذا ضريتموها فتضرم

وهذه معان لا تفى بها كلمة دارت المعركة

٤ – « وضعت الحرب أوزارها » : والأوزار عدد الحرب وآلاتها ، قال الأعشى :

وأعددت للحرب أوزارها   رماحاً طوالا وخيلا ذكورا

فهذه كناية عن انتهاء الحرب ، لكنها أبلغ من الحقيقة ، لأنها أفادت الحقيقة ، وأفادت معها دليلا محسوساً على صدقها ، ثم أفادت أن الحرب كانت طاحنة ، ثم فى إسناد الوضع إلى الحرب مجاز عقلى أو استعارة أو حذف ، وكل منها جميل ، فليراجع الأستاذ ذلك كله فى كتب البلاغة إن أراد التفصيل

ولماذا لم يستغن الأستاذ عن المجاز ما دامت الحقيقة قديرة على أداء المعنى ؟

قال فى ص١٣ : « وهذا موضوع (تخصب) فيه الالتباسات »

وفى ص ٢٤ : « بل كانت تبقى هذه المعانى (أجنة) تؤلمه (بالمخاض) ، ولا تجد المخرج من ذهنه أو تخرج (جهيضة) » .

وفى ص ٨٩ : « لم تجد كلمات ولسن الجوالالأم لها (فذبلت) وماتت أمام (الأعشاب) التى زرعها كلنسو ولويد جورج » الخ

وأخيراً ، أسأل الأستاذ جاداً أن يكتب مقالا أدبياً واحداً باللغة الجديدة التى دعا إليها ، بحيث يكون خليطاً من الفصحى والعامية والإفرنجية ، وملغى فيه الإعراب ، وبالحروف اللاتينية ، وأساس البلاغة فى انتقال المنطق وحده ، ومجرداً من كل استعارة أو تشبيه ، أو مجازاً يمكن الاستغناء عنه ، ثم لا أطالبه ولا أطالب القراء بتقدير قيمته الفنية ، بل أطالبه وحده بفهمه ، وإن كان قد حبره بقلمه

لأكاد أوقن أن دعواته لهدم اللغة ، وتقويض الأخلاق ، وازدراء الماضى المجيد ، إن هى إلا دعوات استعمارية لتبديد شمل الأمة العربية ، أو دعوات تبشيرية لقطع ما بين المسلمين ودينهم من صلة لغوية وخلقية ، ولكن لن يكون لدعواتهم صدى مادامت أقلام فى أيدى أحرار .

أحمد محمد الحوفي

المدرس بالسعيدية الثانوية

الشعر المرسل والشعر الحر

للأستاذ حسين الغنام

قرأت قصيدة الأستاذ الفاضل على أحمد باكثير المنشورة فى عدد مضى من الرسالة ، والتى أسماها شعرا مرسلا حراً ...

وقد جمع الأستاذ الفاضل بهذه التسمية بين الشعر المرسل ، والشعر الحر ، وهما ضربان مختلفان فى الشعر الأوربى ، ويسمى الأول فى الانجليزية Blank Verse ، والثانى Free Verse . ولكن الترجمة الصحيحة لهما هى : نظم مرسل ، ونظم حر ... ومعنى هذا أنه يجب أن تتوفر الموسيقية فى هذين الضربين من الشعر أو النظم !

ولا يعنى الأستاذ باكثير جمعه بين الضربين فى قصيدة واحدة — كما سماها مجازاً — أن يهمل الموسيقية أو العروض ، وإن لم يتقيد أو يلتزم بحرا واحدا ...

فلقد أدهشنى خلو ما سماها قصيدة من أى موسيقية ، وحاولت قراءتها وتنغيمها على كل الوجوه فلم أفلح .

فهذه إذن ليست قصيدة بالمعنى المفهوم لخلوها من الموسيقية ، وهى ليست شعرا مرسلا ، وليست شعرا حرا . والخطأ الثانى هو جمعه بين الضربين فى قطعة واحدة .

أما أصدق وصف لكلمة الأستاذ باكثير فهو أن يسميها نثرا مشعَّرا ، أو شعراً منثوراً ، كما يقولون . أما أنها نظم Verse فهذا خطأ .

وإذا أراد نموذجا من الشعر فإنى أرجو من أستاذنا الزيات أن يتفضل بنشر هذا النموذج لى ، عن الشاعر الأمريكى الفحل لونجفلو ، وهى السطور الأولى من ملحمته المسماة (أغنية هياواثا) ، وقد نظمها صاحبها شعراً حراً ، ولكنى ترجمتها شعراً مرسلا منذ بضع سنوات .

وإنك لواجد فى هذا النظم موسيقية ، لأنها من أول الشروط فيه . وقد أخطأ الشعراء فى عدم فهم هذا الضرب ، فكان ما ينظمون منه — حتى مع التزامهم الموسيقا — متنافراً فى البحور غير منسجمة مع بعضها . ومن أولى خصائص هذا الضرب موسيقيته أولا ، ثم ائتلاف هذه الموسيقا فى بحور متقاربة ليجعل منها تجانساً وتناسقاً فنياً Harmony .

وإليك الأبيات الأولى من ملحمة لونجفلو ، كما ترجمتها شعراً مرسلا من أوزان متقاربة لا تحس فيها بتنافر أو اصطدام ، وهذه أولى خصائص ذلك النظم :

(نواواها) المغنى العظيم

— ١ —

لعلك سائلى من أين هاتيك الأقاصيص ؟
ومن أى المصادر جئت بالأخبار ترويها
وإن لها لرائحة من الغابات منبعثه
وإن بها ندى الأعشاب فى المرجات منبثه
ندى رطب إن التمعا
بضوء الشمس أو سطعا
وإن لها دخاناً جاء م الأكواخ مرتفعا
وإن لها خرير الماء فى الأنهار مندفعا

— ٢ —

فإما قلت لى من أين هاتيك الأقاصيص ؟
فهاك جواب أنبائى من الملموس أحكيها :
من الغابات والروضات جئت بكل أخبارى
وليس السامع المروى مثل الناظر السارى
فمن غاب ومن سهل
ومن نهر ومن تلّ
ومن أرض يعيش بها قبائل أهل (أوجيبِ)
و (داكوتاة) فى أرض حلت للشاة والذيب
ومن جبل ومستنقع
وأرض ثم لم تزرع

ومنبسط من الأرض
هنالك كل ما فيه — على بداوته — يُرضى
هنالك (مالكُ الحزونُ) يحيا عيشة الزهد
(شَـشَـهـشـتَجاهُ) كما يدعوه بعض قبائل الهند
يعيش هناك بقتات الثمار الفجِّ والقصبا
فلا عنباً وفاكهة ولا نبتاً ولا حبا
ومن شفَتَى (نواداها)
أغان ... كان غناها
وأعظم بالذى غنى
مغنيهم إذا افتنّا
سأرويها كما غنى
فما زال الصدى المسحور حسناً يطّـبى سمى
ويعذُب وقعُه فيه — وما أحلاه من وقع !

— ٣ —

وأما عدتَ تسألنى سؤالا عن « نواداها »
ومن أى الموارد جاء بالألحان فتانه
فألقاها وغناها
فرد الطير ولهانه
أغان من بداوات ولـكن لحنُها يُصبى
فمن أطيار غابات تلوذ بصوتها العذب
على أعشاشها العلياء فى أطراف أشجار
وحسبك لحن أطيار
ومن أكواخ « كلب الماء » تحت الماء مختفياً
ومن آثار ثيران أوابد — كان مقتفيا
وعش النسر فوق شواهق الجلمود ممتنعاً
وغير النسر لم يمسسه مهما طال وارتفعا

— ٤ —

وفى واد جميل ساكن رقت حواشيه
وفوق الجدول الساجى أقام على حوافيه
« نواداها » بقرب القرية الهندية الصغرى
« نواداها » الذى غنى
وغنها لقن الفنا
وفوق المرج مخضراً
وبين مزارع الحنطه
فتحسب ذلك البُرا
تلألأ — عسجداً حراً
وفوق الأرض منبسطه
وعن قرب من الغيطان قامت غابة كبرى
وأحراج الصنوبر وهى كالأطيار غريده
تراها ثَم ممدوده
وعند الصيف تبصرها إذا ما رُدت خضراء
وفى وقت الشتاء تحول من خضراء — بيضاء
وفى الحالين تبصرها
إذا ما رحت تخبرها
تنهد قلبها آناً وآناً بالهوى غنى
وما أحلاه إن غنى ، وأوجعه إذا أنّا
وهذا الجدول الرقراق فى الوادى قد انسابا
وفى جنباته سالا
وراح يتيه سلسالا
وعاد جداولا كُثرا
تشق السهل والأعشاب والأحراج والغابا
تراها فى الربيع تخر بالأمواج صفّاقه
وتبصرها إذا ما كنت يوماً تقتفى الأثرا
فتالفها أوان الصيف إذ تنساب رقراقه
بأشجار من الحور الجليل مهفهفاً قاما
وإبان الخريف ترى الضباب هناك قد غاما
وإبان الشتاء بند خيط أسود داكن
يفرّع منه — قاتمةً — خيوطاً غُبّراً دكنا
بجانب كل ذلك عاش « ناواداه » — من غنى
بواد أخضر ساكن

— ٥ —

وغنى عن « هياواثا »

وغنى من « هياواثا »

أغانى عن ولادته العجيبة ثم تكوينه

وكيف صلاته قامت وكيف صيامه كانا ؟

وكيف حياته كانت من الآلام ألوانا

وكم كدح الشقى لكى يكون لأهله قدوه

ورائدهم إلى النجح

فإن النجح فى الكدح

— ٦ —

ألا يا من تحبون الطبيعة وهى مزدانه

وشمس المرج ساطعةً وظل الغاب ممدودا

وصوت الريح فى الأغصان تخطر وهى نشوانه

وهمس الريح مردودا

إذا حفت على الشجر

ألا يا من تهيمون بشؤبوب من المطر

يسُحُّ كدافق النهر

وعاصفة من الثلج

على الآكام والمرج

ودفع الماء فى الأنهار ينفذ من حواجزها

وصوت الرعد فى قنن الجبال وفى مفاوزها

إذا أصداؤهن عوت

تخال نسورها دوّت

ألوفاً ما لها عدُّ

وحسبك أنه رعد

تعالوا واسمعوا منى أحدثكم أحاديثا

وأغنية أغنيها كما غنى « هياوثا ! »

حسين الغنام

سيباى الكافلى

آخر نائب للمملكة المصرية بالشام

للأستاذ أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسورية ولبنان

كان ذلك فى جولة من تلك الجولات فى دمشق حين كان يحلو لى السير لمسافات بعيدة للتعرف على أحياء المدينة التى قلت عنها إنها « عاصمة وثغر ورباط »(١) . وذلك لما نقل عن أبى الدرداء من قوله : « إن أهل الشام مرابطون وأنهم جند الله »(٢)

وكان ذلك فى ربيع سنة ١٩٤٣ ويد الله تحرك العالم وشعوبه وسط حرب عالمية شعواء ، والشرق العربى يتأرجح بين الصليب المعكوف ورمز النصر الديمقراطى ، وكان معى صاحبى وقد انتهى بنا المطاف إلى بناء عليه مسحة القرون المصرية التى نعرفها قلت : « هذا البناء لنا » وصاحبى يعرف مقدار شغفى بكل ما يذكر بعصر العربية الخالدة من عهد الأيوبية والبحرية والبرجية ، فتحرفاه وقال : « نعم ! ألا تدرى أنك أمام جامع سيباى » قلت : « ومن هو سيباى هذا ؟ » قال : « هو نائب الشام تولى إمرة السلاح بمصر » ثم عين نائباً للسلطنة المصرية بدمشق فى عهد سلطاننا الغورى طيب الله ثراه — قلت : « إذن هو آخر من حكم هذا البلد الأمين من أمراء مصر؟» قال : « نعم». سألته : « كم يفصلنا عنه من القرون ؟ » قال : « أربعمائة وأربعون عاماً » قلت : « لقد انتهت الفترة إذن وستبعث مصر بعثاً جديداً وستعود أيامها الخوالى وستلعب دورها التاريخى مرة أخرى » — ونظرت إليه محدقاً وقلت : « أو لم تؤمن بما أقول ؟ » . فابتسم صاحبى ابتسامة عريضة لها معناها . وتوجه إلى المسجد وقال لى : « أتدرى ماذا يقولون عن جامع سيباى ؟ يطلقون عليه اسم جمع الجوامع » قلت : « أى نعم أذكر جيداً جمع الجوامع فى أصول الفقه للسبكى المتوفى سنة ٧٧١هـ وأذكر الرواق العباسى بالأزهر وما ألقاه علينا أستاذنا الأكبر الشيخ الدجوى يوماً ما » قال : « لا ؟ وإنما أردت أن أقول إن بعض الظرفاء وإن كان الكرد على فى الجزء السادس من خطط الشام صفحة ٩٣ يسميهم العلماء يقولون إن صاحب هذا الجامع لم يدع بدمشق مسجداً مهجوراً ولا مدفناً معموراً إلا أخذ منه من الأحجار والرخام والأعمدة ما أحبه ؛ ولذلك سمى مسجده جمع الجوامع ».واستمر صاحبى فى بحثه وشرحه ويقول : « استغفر الله ! ناقل الكفر ليس بكافر . كانت هناك مدرسة اسمها الخاتونية بالصالحية درست ، وأول من استفاد من أنقاضها سيباى هذا ، وكانت هناك تربة باسم الأمير بلبان المحمودى أتابك العساكر المصرية بالديار الشامية أخذ سيباى حجارة واجهتها لبناء جامعه هذا ولم يترك لصاحبها غير الضريح » واستمر يشرح لى هذه النقطة الغامضة بإسهاب جعلنى ألتفت إليه : « والله لو استعمل سيباى حجارة شارع جمال باشا بأكمله وأخذ رخام قلاع الكرك وحصن الأكراد ومصياف لما حال ذلك دون زيارتى لهذا الأثر المصرى ، فوفر عليك ما تقول وسر بنا نطوف به » . ودخلنا المسجد وأنا أطيل النظر فى الزخارف ومقرنصات الباب العليا وأرفق فى لمس الجدران والحجارة وأتأملها بين أبيض وأسود وكأنها تحدثنى وتحن إلىّ ، وكنت قد صعدت الدرجات واتجهت إلى الصحن فوجدت على يمينى جناحاً اتخذته جمعية الشبان المسلمين بالشام مقراً لها ، نخف أعضاؤها لاستقبالنا والترحاب بنا ، وكنت مبابل الفكر سارحاً ، فأخذت بذراع صاحبى على جنب وهمست فى أذنه : « أبلغت القحة أن تطأ الأقدام ضريح أمير من أمراء مصر ويتخذ مدفنه مكتباً فلا ترعى لجسده أية حرمة !» فضحك صاحبى وقال : « لا بأس ! » قلت : « وما معنى هذا ؟ ».قال : « خفف عليك ! إن سيباى قتل فى معركة مرج دابق مع الغورى ولم يضم عظامه لحد ولا ضريح ؛ والذى تراه أمامك ماهو إلا تربة فارغة » .

انتصر صاحبى وعرف كيف يسكتنى وكيف يقود الزيارة للصحن الداخلى ويلفت نظرى إلى مزولة من رخام كتب عليها أنها من عمل الفقير محمد زريق الموقت سنة ٩٦٢ ، ثم أخذنى إلى المصلى واستمر يحدثنى عما يعرفه عن المحراب والمنبر الجميل وما فيه من الزخارف والنقوش الهندسية .

(١) راجع الرسالة عدد ٤٧٠ بتاريخ ٢٣ نوفبر سنة ١٩٤٢

(٢) ابن عساكر صفحة ٥٨

مشروع السنوات الخمس

للدكتور محمد مأمون عبد السلام
وكيل قسم أمراض النباتات بوزارة الزراعة المصرية

تراعى الحكومات الديمقراطية في وضع مشروع السنوات الخمس أن تكون أغراضه محددة لسياسة التعمير وموجهة لزيادة الثروة الأهلية ورفع مستوى الشعب عامة من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لا أن تكون نتيجته استفادة فئة قليلة على حساب أغلبية الشعب ؛ لذلك توضع برامجه على ما لدى الدولة من الموارد الطبيعية والأيدى العاملة وعلى احتياجات الشعب ليعم نفعه كافة أفراده من غير تمييز .

فيجب أن يتمشى الشروع مع ازدياد عدد السكان والتقدم في الآلات الحديثة ووسائل الإنتاج ، وأن يستعان في وضع برامجه بما ينبغى أن يكون لدى الدولة من أرقام إحصائية حقيقية دقيقة عن موارد ثروتها على اختلاف أشكالها وعن تعداد سكانها ومبلغ زيادتهم السنوية وعن حالتهم واحتياجاتهم أي معاملاتهم الداخلية والخارجية وعن الإنتاج المحلى ليعمل الشروع على زيادته لكفاية الشعب واستغنائه عن الاستيراد الخارجي واستقلال البلاد بنفسها لنفسها والواجب أن تبنى أسس الشروع على تقدير مستوى المعيشة الواقعي لجمهور الشعب تقديراً صحيحاً لا اجتهاديا وعلى مدى ثقافة الشعب وحالته الصحية ، وعلى كافة العيوب التي تؤثر في حياته كعيوب المدن والقرى والعزب والمساكن والطرق ، وعيوب الإنتاج وبالاختصار على جميع أوجه النشاط الزراعى والصناعى والاجتماعى

فالواجب أن توضع برامج مشروع السنوات الخمس لمصر نتيجة لدراسات عميقة تشمل شتى نواحي الحياة فيها ، وأن تتعاون في وضعه كافة الهيئات الحكومية والأهلية ، وأن تنفذ برامجه طبقاً لدراسات صحيحة مبنية على أرقام حقيقية لكافة العيوب والأمراض التي لا بد من استئصالها لتبنى الأمة المصرية حياتها الجديدة على أساس موضوع لغرض قومى معين غير متأثر بأى مؤثر داخلى أو خارجى ، فيجب أن تتمشى برامج الرى والصرف مع إصلاح الأراضى وزراعة الموات وتوزيع الفائض من السكان فيها توزيعاً عادلا لاستعمارها . وينبغى أن يوضع برنامج الاصلاح الزراعى للبلاد على أساس تعديل الملكية لينتفع الشعب بالأرض انتفاعاً شعبياً يؤدى إلى رفع مستوى الإنتاج بمساعدة الوسائل الحديثة الميكانيكية والكيميائية والبيولوجية فيوزع الإنتاج توزيعاً يتفق مع مجهود الأيدى التي أنتجته .

والواجب أن يضم الشروع برنامجاً خاصاً للبحوث الزراعية بحيث يكون موحداً بين الأقسام الفنية المختلفة لوزارة الزراعة والهيئات الزراعية الأخرى كالجمعية الزراعية والكليات الزراعية ومعاهدها على أن يكون الغرض الأسمى من هذه البحوث كفاية الشعب من الطعام الصحى الرخيص ومن المواد اللازمة لراحته في اللبس والسكن وذلك بإنتاج الحاصلات الوفيرة الريع التي تقاوم الآفات والأمراض، وأن يعطى الشعب كفايته من الخضر والفواكه واللحوم والبيض والألبان ومشتقاتها بأثمان رخيصة تتمشى مع نفقات الإنتاج لا مع جشع المنتجين والوسطاء أي التجار . وأن يكون من أغراض المشروع تخزين المحصولات بالطرق الحديثة التجميعية التي تضمن سرعة علاجها وسهولة توزيعها على مناطق الاستهلاك بأقل النفقات . وأن تنشأ مصانع للآلات الزراعية التي تحتاجها البلاد في تطورها الزراعى المرتقب . وأن ينتفع بجميع موارد الطاقة الموجودة عاطلة في البلاد لمصلحة الأمة عامة وذلك بتوليدها من مجارى المياه ومن الرياح وأشعة الشمس ومن آبار البترول وأن تستخدم في الزراعة وفي تنفيذ المشروع الصناعى بصفة شعبية

كنت أسمع إليه وأنا في عالم آخر . ولما وجدنى مشتت الفكر سار بى إلى إحدى الغرف المخصصة لتلقين صبية الحى بعض آيات القرآن الكريم . ورحب بنا الشيخ وأخذ يدعو أولاده لتلاوة ما حفظه كل منهم من جزء عم فسرّى ذلك قليلاً عنى .

أما نفسى فكانت حزينة لا تفكر في شيء غير يوم مرج دابق والسلطان الغورى وسيباى وغيره من أمراء مصر الذين قتلوا وكتبت لهم الشهادة في ذلك اليوم العصيب . ونزلتُ درجات السلم وأنا أتمتم بنشيد من شعر نيتشه لا أذكر منه سوى بعض المقاطع . وهو :

« إننى أحبكم من عميق القلب أيها الرفاق في المعارك فما أنا الآن إلا مقاتل مثلكم كما كنت بالأمس » .

(للكلام بقية) **احمد رمزى**

وأن ينتفع بفوائض الحاصلات فى التغذية وفى الصناعات كصناعة الورق والخشب الصناعى واستخراج الكحول والنشا وغاز الوقود والإضاءة فيمكن مثلا أن ينتفع ببقايا الذرة فى مناطق زراعتها فى توليد غاز الاستصباح والوقود واستخدامه فى المدن والقرى والعزب .

والواجب أن يوضع برنامج الصناعات لأغراض وطنية ولمنفعة الشعب عامة على أساس مدروس فترفع مستوى معيشته وتغنيه عن المصنوعات الأجنبية فتؤسس الصناعات التى تتوفر خاماتها فى البلاد كصناعات الزجاج والنسيج والورق وبعض الصناعات الكيميائية والطبية والصناعات المعدنية لوفرة خامات المعادن فى صحاريها وصناعة الآلات الزراعية والأسمدة الصناعية والصناعات الزراعية المختلفة وغيرها

ويجب أن يشمل مشروع الإصلاح الاجتماعى وقاية البلاد من شرور المدنية الغربية التى أخذت تهدد كيان الأسرة المصرية بشكل واضح فيوجه الشعب ذكوراً وأناثاً التوجيه السليم الصحيح الذى يتفق مع آدابه الموروثة التى حددتها له عاداته وعقائده . وأن يوحد الزى لما له من التأثير البسيكولوجى فى داخل البلاد وخارجها . وينبغى أن تؤمن الأيدى العاملة على حياتها فى الصحة والمرض، وعلى مستقبلها ومستقبل أولادها ، وأن يوضع البناء الاقتصادى للبلاد على قواعد تمنع البطالة وتضمن تشغيل كل يد عاملة فيما تجيده من العمل المنتج . وأن يجعل مساعدة المحتاجين على أساس ما لهم عند الدولة من حقوق لا على قاعدة الإحسان . فالواجب أن تلغى الأوقاف بحيث لا يكون لها أى أثر فى البلاد وتنظم المساعدات على الأسس الشعبية الحديثة .

والواجب أن ينظم التعليم على أساس مطالب العمل والاستعداد الفطرى للأفراد فيوجه الطلبة للمهن المختلفة بحسب ميلهم الغريزى وأن تعطى كل مهنة وحرفة كفايتها من المتخرجين بحسب احتياجاتها وبذلك تعطى البلاد كفايتها من الأطباء والمهندسين الميكانيكيين والكهربائيين والمعماريين والمتخصصين فى الصناعات المختلفة وفروع المهن الزراعية والصناعية فلا تشكو البلاد قلة المتخصصين فى مهنة على حساب كثرتهم فى مهنة أخرى لا أثر لها فى التقدم الحقيقى للبلاد . والواجب أن تغير برامج التدريس تغييراً انقلابيا يتفق مع الاتجاهات الحديثة فى توجيه أفراد الأمة للانتاج المفيد .

والواجب أن يكون من أسس المشروع حل مشكلة الأجانب المتوطنين فى مصر وهم الذين انقطعوا عن بلادهم وذلك بتمصيرهم وإدماجهم فى الحياة المصرية والانتفاع بهم كمصريين فى تنفيذ المشروع . كما يجب الاستعانة بالخبراء الأجانب من الخارج المشهود لهم بالكفاية والأمانة والاستقامة .

ويجب لتنفيذ المشروع أن يستعان بالقروض الوطنية وبالاقتصاد فى مصروفات الدولة حكومة وشعباً وبتحريم استيراد الكماليات وتنظيم توزيع العمل ؛ وأن يلجأ إذا اقتضى الأمر إلى التجنيد المدنى لتنفيذ المشروع وأن يشجع الشعب على ذلك بالمسابقات المالية والمكافآت للمجتهدين والمبتدعين .

والواجب أن يكون لكل وزارة وهيئة ومنشأة بل ولكل مديرية ومدينة مشروعها الخاص ضمن المشروع العام للدولة وأن يخصص لكل منها لجنة دائمة لوضع برامجه ومراقبة تنفيذها وأن يشرف على هذه اللجان هيئة عليا « كوزارة للمشروعات » . وأن تخضع ميزانية الدولة وميزانيات الهيئات المختلفة لهذا المشروع باعتباره وسيلة لبلوغ البلاد أسمى أغراضها وهو رفاهية الشعب وسعادته وأمنه . « فوزارة المشروعات » تعتبر المسئولة عن وضع مشروعات كافة الهيئات والمدن وغيرها وعن انسجام برامج هذه المشروعات وعن إدارة تنفيذها . وهى المسئولة عن موازنة كل ناحية من نواحى الإنتاج والتوزيع والتمويل موازنة تتفق مع برامج المشروعات ، فلا تخطو أى خطوة كبيرة فى مشروعات الزراعة أو الصناعة أو النقل أو التمويل أو تجديد بناء المدن والقرى والعزب أو غير ذلك إلا بعد موافقة اللجنة العليا للمشروعات التى يجب أن يعاونها مئات من المتخصصين فى مختلف أبواب المشروع . ويجب أن يقسم مشروع السنوات الخمس إلى مشروعات سنوية ينجز كل منها فى مدى سنة واحدة ليتم المشروع كله فى المدة المقررة له .

وليعلم القائمون بالأمر بل وكل فرد من أفراد الأمة أن مشروع السنوات الخمس بالشكل الذى وصفته هو المحك الحقيقى لحيوية الأمة وهو الذى يظهر مدى استعداد أفرادها للأخذ بأسباب التقدم ومجاراة العصر .

الدكتور محمد مأمون عبد السلام

الحياة الأدبية في الحجاز

للأستاذ ابراهيم هاشم فلالى

من المؤلم ألا يجد القارئ الحجازى فى صحيفة « الرسالة » الغراء شيئاً عن أدب بلاده ، بينما هو يجد فى هذه المجلة الكريمة آداب الأمم العربية ممثلة فيها

فهل هـذا القصور ناشئ عن الرسالة ؟ أو هو ناشئ عن الأدباء الحجازيين الذين لا يتقدمون بإنتاجهم الأدبى إليها ؟ إنك تجد من الأدباء الحجازيين من يقول لك إن الرسالة ضنت بنشر ما قدمناه لها ، وقد تقول الرسالة إنها لا تضن بنشر كل ما يصل إليها من أى قطر إذا رأته صالحاً للنشر . والذى أراه أن الرسالة أصبحت لهـا من المكانة فى قلوب أبناء البلاد العربية ما تغبط عليه ، لأنها ما زالت تخدم فكرة العروبة ولغة العروبة ، حتى ظن أبناء العروبة فى شتى بلادهم أنها رسالتهم ، فهى قمينة بأن يكتب لها الكاتبون وهم قمينون بأن تنشر لهم كل ما يكتبون ، فكثرت لديها المواد ، حتى أصبحت صفحاتها لا تسع كل ما يطلب منها نشره ، وعلى الأخص بعد أن استحكمت أزمة الورق وتضاءل حجمها حتى أصبحت فى الحجم الذى هى فيه الآن ، ولم يبق لرئيسها إلا أن يتخير من المواد المتجمعة لديه ما هو أخلق بالنشر من غيره . وله الحق فى أن يختار ما يشاء ويهمل ما يشاء ، وقد تضطره ظروف العمل إلى ذلك ، فيرى الذين لم يقدر لإنتاجهم النشر أن لا باعث لهم على الكتابة للرسالة ما دام نصيبهم الإهمال — كما يخيل إليهم — وغالبية الأدباء ، كما بلوتهم ، لهم مزاج لا يقوى على الاحتمال ، ويتأثرون لأوهى الأسباب .

فى الحجاز حركة أدبية طيبة ، وقد كانت هذه الحركة تتمثل فى جريدتى أم القرى وصوت الحجاز بمكة المكرمة ، وفى جريدة المدينة ومجلة المنهل فى المدينة المنورة . وانتشر الروح الأدبى بين الناس ، فبرز بيننا أدباء جديرون بالإعجاب والتقدير ، ووجدت هذه الحركة عطفاً وتشجيعاً من حكومتنا السنية ، فحشدت كثيراً من الأدباء والشعراء فى دواوينها . وكان ولا يزال نائب جلالة الملك المعظم صاحب السمو الملكى الأمير فيصل يرعى الأدباء ويعطف عليهم ويأخذ بأيديهم ، فانتعشت الحركة الأدبية ، وافتتح لها سعادة الشيخ محمد سرور الصبان مدير المالية العام وكبير الأدباء قاعة فى إدارة الإسعاف للمحاضرات الأدبية ليجد فيها كل أديب جواً صالحاً للانتاج الأدبى القيم ، ثم أسس شركة للطبع والنشر لتقوم بنشر مؤلفات الأدباء على نفقتها ، وزود مقر الشركة بمكتبة قيمة ليسهل على الأدباء والمؤلفين مراجعة ما هم فى حاجة إلى مراجعته من الكتب وقتما يشاؤون

وحيال كل هـذه المغريات نشطت عزائم الأدباء ، فألقوا المحاضرات ، وكتبوا المقالات ، وألفوا الكتب ، وشغف الناس بالقراءة ، ولذتهم البحوث الأدبية مما دعا إلى مضاعفة الإنتاج الأدبى وإتقانه . ومن ثم ألفت كتب جمة فاز بعضها بالنشر مثل كتاب « وحى الصحراء » لمؤلفيه الأستاذ المرحوم عبد المقصود والأستاذ عبد الله بلخير ، وكتاب « محاضرات الإسعاف » ، وكتاب « المرضى » للأستاذ الكبير الشيخ محمد سرور الصبان ، وكتاب « أدب الحجاز » له أيضاً ، وكتاب « خواطر مصرحة » للأستاذ محمد حسن عواد ، و « كتابى » للأستاذ أحمد عطار ، وكتاب « محمد بن عبد الوهاب » للعطار أيضاً ، وكتاب « الأدب الفنى » للأستاذ حسن كتبى ، وكتب الأستاذ عبد القدوس الأنصارى وهى : التوأمان ، إصلاحات فى اللغة ، آثار المدينة المنورة ؛ وكتب أخرى لم تحضرنى أسماؤها الآن ، كما طبع بجانب هذه الكتب الأدبية كتب أخرى مدرسية وأخذت حركة الإنتاج الأدبى تنمو وتزدهر . ونبغ لدينا كتاب وأدباء وشعراء سنأتى على نماذج من إنتاجهم ليتبين لقراء الرسالة الكرام إلى أى حد من النضج بلغ الشعر والنثر عندنا

أما المؤلفات الأخرى والتى تكاد تكون قيمتها الأدبية أكبر من قيمة المؤلفات التى طبعت ، فإنها بقيت محفوظة فى مكاتب مؤلفيها ، لأن الحرب — خربها الله — قامت فى هذه الأثناء وحلت ببلادنا أزمة الورق كما حلت فى البلاد الأخرى ، فتوقفت حيال ذلك الحركة الأدبية عن السير فى طريق النبوغ

والانتشار ، ولكن الأدباء لم يقفوا عن الإنتاج ، لأن الفورة الأدبية جياشة فى صدورهم بقوة ، فهم ما زالوا ينظمون وينثرون ويؤلفون ، وهم محتفظون بذلك كله إلى أن يأتى يوم السلم المنظور وتنحل أزمة الورق ، فإذا جاء ذلك اليوم وقد جاء ، فسوف يرى الناس أدباً حجازياً له سمته وله خصائصه ، وسيكون لبلادنا ذات التاريخ المجيد مشاركة أدبية فعالة فى بناء صرح الحضارة الإنسانية ، وستقوم بواجبها وتؤدى رسالتها بما يتناسب ومكانتها الدينية والأدبية فى تاريخها الماضى المجيد

والآن ، سأذكر النماذج الأدبية التى تكلمت عنها آنفاً ، وسأبدأ بنماذج شعرية ليرى القارئ العربى الكريم الشعر الحجازى فى ثوبه الجديد ، وللقارئ أن يحكم له أو عليه بما يستحقه . على ألا يغرب عن باله أننى لم أتخير فى سرد هذه النماذج الشعرية أحسن ما قيل ولا أروع ما نظم، بل ذكرت ما شاع على الألسن دون أن أتكلف عناء البحث والاختيار

قلت فى معرض كلامى إنه نبغ عندنا شعراء وأدباء جديرون بالإعجاب والتقدير ، وفى مقدمة هؤلاء كبير الأدباء وحامل لوائهم الأستاذ محمد سرور الصبان ، فن شعره قوله يناجى الليل

يا ليل صمتك راحة ... للموجعين أسى وكربا
خففت من آلامهم ... ووسعتهم رفقاً وحبا
أو ما ترى حدث الزما ... ن أمضهم عسفاً وغلبا؟

يا ليل إن بسم الخلى ... وسادر لهواً ولعبا
فبجنبه يبكى الشجى ... وربما لم يأت ذنبا
هـذا ينعم باله ... وأخوه يصلى النار غصبا

يا ليل فارق محدثاً ... أخبارنا غبا فغبا
فلنا بذلك حاجة ... إن تقضها فرجت كربا
وابدأ حديثك بالألى ... عانوا من الآلام وصبا
فعسى بهم تأسو وعل ... لنا بذلك منه طبا
يا ليل ما للبدر ء ... رح فى السما شرقاً وغربا
يبدو فيضحك ساخراً ... منا وطوراً قد تخبا ...
يعلو على متن السحا ... ب يسوقها سرباً فسربا
أتراه يبعث كالولي ... د فليس يخشى بعد عتبا
يا ليل ما شأن الغرا ... نة سيرها تيهاً وعجبا
سكرى ترنح عطفها ... دلا فلا يسطيع خبا
تخذت لها مهد السما ... ء كرقص فتدب دبا
طردت إليك بناتها ... فضممتهن إليك ربا
تلك النجوم المشرقا ... ت وجوهها بشراً وحبا

وهكذا يمضى — حفظه الله — فى القصيدة على هذا النمط المستعذب حتى يتمها .

ومن الشعراء الذين نفتخر بهم ذلك الشاعر المتصوف الأستاذ حسين سرحان ومن شعره قوله :

أثمت والإثم من طباعى ... وأنت من طبعك الكرم
هبطت بى من ذرى ارتفاعى ... يا موجد الروح من عدم
أوقفتنى عند حد نفسى ... وقد تجاوزت حدها ...
والنفس مرهونة برمسى ... إذا اقتنى الجزر مدها ...
فكان ما شئت من صراع ... وزاد ما ذقت من ألم ...
تحية أنت : لا تراعى ... يا نفسى : فاستقرى الندم
الطين ما زال يحتوينى ... يرد وثبى إلى الثرى
فشاهت الأرض من قرين ... وساءت الأرض عنصرا
ردت سموى إلى اتضاع ... وإن تعلقت بالقمم
ظلت على أمرها المطاع ... ومانى الخصم والحكم
وشهوة سمها زعاف ... تشب فى الروح والبدن
مكشوفة ما لها غلاف ... وإن يكن ما لها ثمن ...
قد استجابت لكل داع ... وأورث الجسم بالضرم
كأنها فى القطيع راع ... فإن أبى أمرها انحطم
فى اللحم والعظم والحنايا ... وفى عروق وفى عصب
تشف عن أخبث الدنايا ... فإن تعجبت لا عجب
فإنها غاية المساعى ... ومصدر الكون والأمم
لولاك يا رخوة القناع ... ما جالت الروح فى نسم
إذا تخيلتنى عظيماً ... أريتنى أننى سقط
سبحان من ينصر الهشيما ... ويخرج الحق من غلط
يا خالط الوحل بالشماع ... ونافث السم فى الدسم

أقسمت فى العالم المشاع بين الورى أصدق القسم

بأننا سذج حيارى وسعينا ذاهب هدر

نريد أن نكشف الستارا كلا : فلن نبلغ الوطر

فإن تعاقب فباقتناع وإن تجاوزت لا جرم

ما أجدر الكون بالضياع لولا الذى يبعث الرمم

ومن شعرائنا المتفوقين الأستاذ الكبير محمد حسن عواد وإلى القارئ أقدم نموذجاً من شعره . قال من قصيدة يصف فيها جندى الديموقراطية فى ساحات القتال :

من بليغ العقل ملهمه عزمه المنطيق لافمه

كاسب الإعجاب مغتصبا قلبه الماضى ومخذمه

يكتب التاريخ من دمه أسطراً والمجد معجمه

يخدم الأوطان ينقذها من أذاها وهى تخدمه

لكأن الدين دافعه نحو قربان يقدمه

دعوة القرآن تحفزه أو هدى الإنجيل يسلمه

فهو فى اللقيا محمده وهو عيساه ومريمه

اعجبى ياحرب من مرح لاعب لولا تجهمه

ومنها :

يستثير المجد فى عمل هائل الغزى يعظمه

حيث موسيقى الخلود إذا طوحت بالجبن تحطمه

والصدى كالصوت صاعقة والصفوف السود تزحمه

يسأل الأقدار هل يده تغسل العدوان أودمه

فإذا بالكون ليل أسى تهاوى فيه أنجمه

وإذا الأصداء قائلة قول صدق لا نجمجمه

أيها التاريخ ذا بطل فعله للخلد مسلمه

هكذا فن الحياة على مسرح الأيام تحكمه

عالم يبدو فيصرعه عالم بانيه يهدمه

وهذا الشاعر المحلق الأستاذ حمزة شحاتة صنو العواد ومزاحمه على المورد الذى يستقى منه يقول من قصيدة غزلية :

بعد صفو الهوى وطيب الوفاق عز حتى السلام عند التلاقى

يا معافى من داء قلبى وحزنى وسليما من حرقتى واشتياقى

هل تمثلت ثورة اليأس فى وجـ ـهى وهول الشقاء فى إطراقى

أى سهم به اخترقت فؤادى حين سددتها إلى أعماقى ؟ ؟

إذ تهاديت مبدلا نظرة العطـ ـف بأخرى قليلة الإشراق

مسرعاً فى المسير تنتهب الخطـ ـو فهل كنت مشفقاً من لحاقى ؟

وتهيأت للسلام ولم تفعل فأغريت بى فضول الرفاق

هبك أهملت واجبى صلفا منـ ـك فما ذنب واجب الأخلاق ؟

كنت بالأمس مسعدى فتغيرت ت كثيراً فهل سئمت التلاقى

واعترى قلبك الملال فأعرضـ ـت فهلا انتظرت يوم الفراق

لا أداجيك للكرامة معنى تتجلى فى صحة الميثاق

سطوة الحسن حللت لك ما كا ن حراماً فافتن فى إرهاقى

أنت حر والحسن لا يعرف الـ ـقيد فصادر حريتى وانطلاقى

لم يكن باليسير صبرى على عسـ ـفك لو أننى طليق الوثاق

ومن شعرائنا المجيدين الأستاذ أحمد عطار ، فمن قوله هذه القصيدة :

يا شقوة ما تكاد تطلقنى من نيرها أو يخف محملها

ثقيلة ما أطيق وطأتها مجنونة باليدين معولها

تعبث فى مهجتى عواصفها ترجمها رجة فتذهلها

وينتهى للجنون محتدها وفى مراعى السطا تنقلها

وفى فؤادى تشب معركة ما تنطفى والزمان يشعلها

الحس صال وفى النهى فكر رعن يذيق المنون أسهلها

لا الليل ليل وأنت نائية ولا الدرارى يروق أجملها

ولا الأزاهير وهى باسمة تسبى وعين الحبيب تغفلها

أين الليالى التى نعمت بها ؟ وأنت عند الصباح بلبلها

أستلهم الوحى منك يا أملى شعراً وآيات أرتلها

وكفك البضة التى ذخرت بأنعم لا أنى أقبلها

وألثم الخد منك مشرقة أزهاره والفنون يشملها

أين سويعاتك التى غبرت ؟ ففى فؤادى الرحيب معقلها

أين الورود التى عبثت بها ؟ وكنت بعد القطاف أكفلها

وأين دار الهوى تظللنا ؟ وأين أفراحها تجللها

أين الأمانى ؟ وأين بارقها ؟ وأين أضواؤها ؟ ومنهلها ؟

ليت الذى قد يروح يرجعه أمثل أيامنا ومقبلها

وليت نضنى وذكرها حرق لماً لهذى المنى نخيلها

أين وما أين لى بنافعة إن ينأ عن مهجتى مؤملها

إبراهيم هاشم فلالي

رسالة الفن

١٠ – الفن

للكاتب الفرنسى بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

الفصل السابع — عن الأمس وعن اليوم

منذ بضعة أيام صحبت أوجيست رودان إلى متحف اللوفر إذ كان ذاهباً لمعاينة تماثيل أودون النصفية مرة أخرى . ولم نلبث أن وقفنا أمام تمثال فولتير Voltaire النصفى وعندئذ صاح رودان :



(تمثال ڤولتير للمثال أودون)

« يا له من أعجوبة ! إنه الخبث والدهاء بعينه . انظر ! إن نظراته الشزراء لتبدو كأنها ترقب خصماً . أما أنفه فأنفى مستدق كأنه أنف ثعلب ليخيل إليك أنه يتشمم المثالب والمعائب من كل ناحية . ولتستطيع أن تراه يدمع ... والفم ! يا له من فوز عظيم ! لقد حُدّد بخطين من القذع والهجاء ، ويلوح كأنه يغمغم بالتهكم والسخرية . ولا يسعك وأنت تنظر إلى فولتير هذا الذى يفيض نشاطاً وحيوية ، ويُغَص سقاماً ، والذى يعوزه الكثير من سمات الرجال — لا يسعك إلا أن تقول عنه إنه محدث بارع عجوز » . وبعد فترة من التأمل عاود حديثه قائلاً :

والعينان ! إنى لأرجع دواماً لمشاهدتهما . إنهما شفافتان ، مضيئتان .

« ولكنك تستطيع أن تقول مثل هذا عن كل تماثيل أودون Houdon . لقد أدرك هذا المثال كيف يجعل حدق العيون أكثر شفافية من أى مصور . إنه يخرقها ويثقبها ويبرزها ، ويجعل بها معالى ومواطى بحيث تحدث تأثيراً فذاً عند ما يقع عليها الضوء أو ينحرف عنها ، ويقلد تلك اللمعة الحية التى بإنسان العين . وما أعظم ما تختلف التعابير التى بعيون كل هذه الوجوه ! إنها تدل على الخبث من فولتير ، وعلى الصداقة الطيبة فى فرانكلن ، والرقة المبهجة فى السيدة هودون ، وعلى المكر فى ابنته وفى طفلتى رونيار الجميلتين . ولقد تعدل اللمحة عند هذا المثال أكثر من نصف التعبير ، فهو يقرأ الأرواح من الأعين التى لا تخفى عليه سراً . ولهذا فلا داعى للتساؤل عما إذا كانت تماثيله مشابهة لأصحابها مشابهة تامة » .

وهنا استوقفت رودان سائلاً :

« إذاً أنت ترى أن المشابهة صفة هامة لازمة ؟ » .

« لا ريب فى ذلك فلا غنية عنها » .

ومع ذلك يزعم كثير من الفنانين أن بعض التماثيل والصور يمكن أن تبلغ حداً كبيراً من الجمال من غير أن يتوفر فيها شبه قوى . وأذكر بهذه المناسبة حادثاً نسب إلى المصور إينر Henner الذى شكت إليه سيدة من أن صورتها لم تأت شبهها . فأجابها بلهجته الإلزاسية :

« هيه ياسيدتى ! بعد ما تموتين سوف يحسب ورثتك أنفسهم

سعداء لأنهم يقتنون لوحة طيبة من ريشة إينر ، ولـكنهم سوف لا يجهدون أنفسهم أبتة ليتحققوا مما إذا كانت تشبهك » .

فقال رودان :

من المحتمل أن يكون المصور قال ذلك . وأغلب الظن أن هذا تسرع منه لا يمثل حقيقة أفكاره لأنى لا أعتقد أن له مثل هذه الآراء الخاطئة فى فن أبدي فيه براعة عظيمة وألمعية نادرة .

ولـكن دعنا نتفهم أولا مدى التشابه المطلوب توفره فى تمثال أو صورة ما .

« إذا قصر الفنان نفسه على إظهار القسمات السطحية كما هو الحال فى الفوتغرافية ، أو إذا نسخ معالم الوجه تماماً كما هى من غير ما رجوع إلى الخلق أو اعتباره فهو لا يستحق أى ثناء أو إعجاب . أما الشبه الذى يتحتم عليه إظهاره فهو شبه الروح . وهذا وحده بيت القصيد . وهو ما يجب على المثال أو المصور أن يبحث عنه تحت ستار القسمات . وقصارى القول يجب أن تكون كل القسمات حافلة بالتعبير أو بمعنى آخر تكون ذات فائدة فى الإفصاح عن شعور باطن » .

« ولـكن ألا يحدث فى بعض الأحوال أن يكون الوجه مناقضاً للروح ؟ » .

« أبداً » .

« وهل نسيت نصيحة لافونتين التى تقول : « لا تحكموا على الناس من ظواهرهم ؟ » » .

إن هذه النصيحة موجهة لأولئك الذين لا يتعمقون الأشياء ، إذ كثيراً ما تخدع الظواهر نظراتهم العجلى . ويكتب لنا لافونتين أيضاً عن الفأر الصغير الذى حسب الهرة أعظم الحيوان حدباً وعطفاً . ولـكنه يتكلم عن فأر صغير أى عن عقل غر ضعيف تعوزه القدرة على التميز . ولا يسع من يدرس الهرة بإمعان إلا أن يجد فى ظاهرها ما يحذره من القسوة التى تستتر وراء تناومها وتـكن فى وداعتها .

وفى مقدور من يستطيع قراءة الوجه أن يميز بين من يصطنع الحنان وبين من طبع عليه ، وإنه لمن أخص واجبات الفنان أن يكشف عن الحقيقة ولو من تحت المظاهر الخادعة .

ولتقرير الحقيقة أقول إنه لا يوجد عمل فنى يحتاج إلى كثير من التعمق مثلما يحتاجه التمثال النصفى والصورة الإنسانية . وقد يقال أحياناً إن حرفة الفنان تتطلب مهارة يدوية أكثر مما تتطلب فطنة وذكاء . وما عليك إلا أن تدرس تمثالا نصفياً طيباً حتى تستطيع أن تدحض هذا القول وتصحح هذه الأغلوطة . إن عملا كهذا خليق بأن يترجم له . وأنت حين ترى تماثيل أودون مثلا تخالك تقرأ فصولا من مذكرات مدونة ، فترى فيها العصر الذى عاشت فيه ، والحرف التى احترفتها ، والأجناس التى انتمت إليها وأخلاقها الشخصية ، ترى كل ذلك فيها واضحاً جلياً .

وها هو روسو قبالة فولتير . ترى فى نظرته حذقاً وذكاء وفطانة بالغة . وهذه ميزة عامة امتازت بها شخصيات القرن الثامن عشر . كانوا نقدة . كانوا يناقشون ويجادلون فى كل المبادئ والمعتقدات التى كان مسلماً بها من قبل من غير ما تحقيق وتمحيص . كانت لهم أعين فاحصة باحثة نفاذة .

أما عن نشأته فهو من عامة السويسريين . كان سوقياً غير مثقف بقدر ما كان فولتير شريفاً نابهاً . وبينا ترى عظم وجنتيه البارز ، وأنفه القصير ، وذقنه المربعة تبين فيه ابن صانع الساعات والخادم الذى امتهن الخدمة من قبل .

وأما عن حرفته فهو الفيلسوف بجبهته المائلة المفكرة ، ينتمى لطراز قديم يتجلى فى العصابة التقليدية التى تدور حول رأسه . زرى الهيئة بشكل ظاهر متعمد ، أشعث أغبر مما يجعله قريب الشبه من ديوجنيس أو مينيبس (Menippus)(١) هو المبشر الذى يدعو للرجوع إلى الطبيعة وإلى الحياة البدائية الفطرية .

« وأما عن أخلاقه الشخصية فترى تجهما فى وجهه ينم عن كراهية للنوع الإنسانى ، وحاجبيه القطبين وجبهته المغضنة ، ترى فيه الرجل الذى يشكو بحق ويتذمر من الظلم والاضطهاد » .

« قل لى بربك . أليس هذا التعليق على الرجل بأحسن وأدق من اعترافاته ؟

« ثم ها هو ميرابو (Mirabeau) . إنه عصر بأكله ، يبدو بحالة تحد . شعره المستعار مشوش غير مصفف ، بزته غير حسنة ، وهيئته زرية ، وكأن ريحاً من عاصفة ثائرة تمر على هذا الوحش

(١) كاتبان إغريقيان أسلوبهما ساخر تهكمى

الـكاسر الذى يهم بالزئير أو برعد بجواب على سؤال يلقى إليه .

« ولننتقص نشأته الآن : نتوسم فى طلعته المهيبة ، وحاجبيه الدقيقين القوسين ، وجبهته المرتفعة المتعجرفة شريفاً كان فى زمرة الأشراف ، ولـكن ديمقراطية خديه الثقيلين المجدورين ورقبته الغائرة بين كتفيه جعلت الـكونت دى ريكـتى Comt de Riguetti — ميرابو — يجوز على تيير (Thiers)[1] ويفوز بعطفه ومراحمه ومن ثم أخذ يدافع عنه .



(تمثال ميرابو للمثال أودون)

« ولننتقل إلى حرفته : إنه القاضى ، يبرز فمه إلى الأمام كأنه بوق على وشك أن ينفجر منه الصوت مجلجلا . يرفع رأسه عالياً لأنه قصير كما هو شأن جهرة الخطباء . ونرى فى مثل هذا الطراز من الرجال أن الطبيعة تزيد فى قوة الصدر والأضالع على حساب الطول . أما العينان فلا تثبتان على شيء معين وإنما تدوران على جم غفير . يا لها من نظرة عظيمة غامضة ! ناشدتك الله خبرنى أليس من أجل الأعمال وتمام الفوز أن يمثل فى هـذا الرأس وحده جمعاً حاشداً بل أمة بأسرها تصغى وتستمع ؟

ولنبحث بعد ذلك عن أخلاقه : لاحظ الشفتين الحساستين ، والذقن المزدوجة ، والمنخر المرتعد فترى الآثام والانغماس فى الشهوات وطلب الملذات مرتسمة عليها جميعاً . نعم تراها كلها هنالك . وإنى لمخبرك بذلك .

وإنه لمن السهل الهين أن نقرأ فى كل تماثيل أودون مختلف الأخلاق على هذا النمط .

وهنا أيضا تمثال فرانكلن : ترى فيه هيئة عظيمة ، وخدين ثقيلين متدليين فتقول هذا هو الصانع السابق . ثم الشعر الرجل الطويل الذى يشبه شعر الرسل ، وحب الخير والمعروف مرتسما فتقول هذا هو ، ريتشارد المهذب الطيب القلب .

ثم إن جبهته العالية المائلة إلى الأمام تنم بالعناد وتنم عن الثبات والصبر الذى أظهره فرانكلن فى تحصيل علومه ، وفى السمو بنفسه حتى أصبح معلماً نابهاً يشار إليه بالبنان ، وأخيراً إلى تحرير وطنه . ذكاء جم تفيض به العينان ويكمن فى زوايا الفم . على أن أودون لم ينخدع بجسامته فابان فيه مادية الرجل المالى الذى جمع مالا فأخلده ، ودهاء السياسى الذى استظهر بواطن السياسة الإنجليزية . فها هنا نرى أحد أسلاف أمريكا الحديثة على قيد الحياة

« عجباً ! ألا نرى فى تلك التماثيل البديعة أخباراً متقطعة عن نصف قرن ؟ وأن أكثر ما يسر النفس من تلك المذكرات المتخذة من الصلصال والرخام والشبه كما هو الحال فى أجمل القصص المكتوبة — هو جمال أسلوبها الناصع ، ورشاقة اليد التى دونتها وفيض تلك الشخصية الساحرة — الفرنسية لحما ودما — التى خلقتها . إن أودون هو سنت سيمون[1] لـكن تنقصه نزعاته الأرستقراطية . هو فى ذكاء سنت سيمون ولـكنه أسمى منه عاطفة . آه يا له من فنان مقدس ! » .

دكتور محمد بهجت
قسم البساتين

(١) كاتب ، ومؤرخ ، وسياسى فرنسى ولد سنة ١٧٩٧ ومات سنة ١٨٧٧ .

(١) أحد أفراد أسرة سنت سيمون العظيمة وهو لويس دى روفرى الكاتب والفنان الذائع الصيت ولد فى سنة ١٦٧٥ ومات فى سنة ١٧٥٥ .

صدى الحوادث

مؤتمر سان فرسيسكو

للأستاذ على الجندى

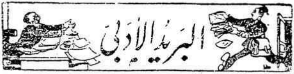
تجمعتم من كل جنس وأمة
ولون لنشر السلم ، هل نشر السلم ؟ !
وهل رفع الحق الذليل جبينه وهل نحن بتنا لا يروعنا الظلم ؟ !
وإلا فما بال « الشآم » دماؤه تسيل ، وأنتم عن مناحته صم !
ويطلب « ديجول » تراث « أمية »
وليس له فى الشام خال ولا عم !
سمعنا كلاماً لذَّ فى السمع وقعه ورب لذيذ شاب لذته السم
أمانىّ كالأحلام زخرفها الكرى
وقلَّ - على الأيام - أن يصدق الحلم
وحبر على القرطاس ليس بعاصم
ضعيفاً ، إذا همت به الغير الدهم
أرى الدول الكبرى لها الغُنْم وحدها
وقد عادت الصغرى على رأسها الغُرم
يخيل لى أن « الوفود » تفرقت
ولم يندمل من طيّب الكلِم الكَلْم
إذا ساءت النيات كانت عهودكم
« قصاصات أوراق » وللغالب الحكم
مواثيق ، معناها يكذب لفظها فظاهرها برٌّ ، وباطنها إثم
وتأويلها عند القوى ، فمن لنا
بأن نضمن الإنصاف ، والحكم الخصم
إذا حل منها الأقوياء نفوسهم تقيدنا الأخلاق ، والشيم الشم
وفاء بدنيا — لا وفاء لأهلها —
به شقيت فى «شرقها» العُرب والعجم
هى الحال مازالت على ما عهدته فويل لأقوام يغرهم الوهم
متى عفت الذؤبان عن لحم صيدها
وقد أمكنتها — من مقاتلها — البهم
ألا كل شعب ضائع حقه سدى
إذا لم يؤيد حقه « الدفع » الضخم

الحنين إلى الوطن (*)

للأستاذ حسن أحمد باكثير

يا بلادى ! يا بلادى ! يا فراديس البحار !
أى ذكرى منك طافت بى وقد ولى نهارى ؟
فاستثارت لوعة حرى بقلبى المستطار
وحنيناً فى جنايا الصدر مشبوب الأوار
واشتياقاً جارفاً يصدع أركان اصطبارى
واستطارت زفرات كاللظى جد حرار
من فؤاد يتلوى من جواه المستثار
واستدرّت من جفونى أدمعاً جد غزار
يا بلادى ! يا جنان الشرق ! قد طال انتظارى
يا لأشواق للقياك ! ويا نار ادكارى !
أى وجد يتلظى فى فؤادى ؟ أى نار ؟
كلما زار خيال منك مُغرًى بازديارى
أو بدا لى فى ثنايا الأفق طيف منك سارى
طيف أحباب وخلان وأهل وديار
وربا تفتر عن أزهارها أبهى افترار
وجنان باسقات الدوح غضات الثمار
وحقول قد كساها النبت أفواف النضار
ورياض يتوشحن بأضواء النهار
يا بلادى ! يا جنان الشرق ! قد طال انتظارى
يا لأشواق للقياك ! ويا نار ادكارى !
أين من عينى جنات وأنهار جوارى
وجبال بين وديان سحيقات القرار
وعيون فى اندفاق وزروع فى اخضرار
وطيور فى انطلاق وزهور فى ازدهار
وعذارى السرو يرقصن خليعات العذار
ونخيل الجوز يحملن رواقيد العقار
والقمارىّ يساوقن أغاريد الهزار
أين هن الآن منى ؟ يا فراديس البحار !
يا بلادى ! يا جنان الشرق ! قد طال انتظارى
يا لأشواق للقياك ! ويا نار ادكارى !

(*) إحدى القصائد الفائزة فى المسابقة الشعرية التى نظمتها هيئة الاذاعة المصرية هذا العام



معجم الأدباء وهل هو لياقوت

سماه ياقوت فى مقدمته إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ولكن ابن خلكان يسميه إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء ، ويقول بأنه يقع فى أربعة مجلدات كبار .

بقى من هذا الكتاب نسخة من جزأيه الاول والثانى رديئة الخط يرجع تاريخ نسخها إلى القرن السابع عشر حصل عليها من الهند الأرشيديكون بارنس ، كبير الشمامسة فى بومباى ، وبعد موته اشتراها من ورثته المستر و . ه . جى الوراق وهذا باعها إلى مكتبة بوريل فى جامعة أكسفورد سنة ١٨٨٢ فوضعتها تحت رقم ٧٢٣ مخطوطات بوريل [١] .

قام بنشر هذين الجزأين المستشرق « دافيد صامويل مرجليوث » بمساعدة إبرهيم اليازجى وقسطاكى الحمصى وجرجى زيدان [٢] ، فتم طبع الجزء الأول سنة ١٩٠٧ ، والجزء الثانى سنة ١٩٠٩ على نفقة تذكار جيب بمطبعة هندية بالقاهرة [٣] وهذان الجزءان يشتملان على تراجم مشاهير الأدباء من القرن الرابع بعد الهجرة إلى أيام المؤلف أثبت سيرهم على سياق حروف المعجم من حرف الألف إلى حرف الجيم [٤] .

هذا ما صح عندى من تأليف ياقوت ؛ وأما باقى أجزاء الكتاب من الثالث حتى السابع التى نشرها مرجليوث فهى دخيلة على ياقوت لم يعمل فيها فكره وهذا ظاهر بين . وأول حجة أستطيع أن أتمسك بها هى أن كتاب ياقوت أربعة مجلدات كما ذكر ابن خلكان فى وفياته فإذا بطبعة مرجليوث تبلغ سبعة مجلدات ، ولقد حرص من تمم الكتاب ونسبه إلى ياقوت أن ينقل من الكتب التى نقلت عن ياقوت ككتاب الوافى بالوفيات وفوات الوفيات وبغية الوعاة وغيرها .

(١) مقدمة الطبعة الأولى لكتاب معظم الأدباء نشر مرجليوث

(٢) مجلة الشرق السنة ١٢ ص ٦٢٨

(٣) كتاب المجمع العلمى العربى رقم ٥٣٢

(٤) مقدمة الطبعة الأولى لكتاب معجم الأدباء نشر مرجليوث .

ويسوءنى بل ويسوء الأدب أن ينشر الكتاب وينسب إلى ياقوت ثم يعاد طبعه فى القاهرة سنة ١٩٣٨ فى عشرين جزءاً دون أن يشار أقل إشارة إلى أن معظم الكتاب دخيل على ياقوت .

ويجدر بى أن أشير هنا إلى أن ما وجد من كتاب ياقوت ينتهى فى الصفحة ٢١٤ من الجزء السابع من طبعة سنة ١٩٣٨ وهى آخر حرف الجيم .

ومن البديهى أن الواضع الذى يرغب فى أن ينسب قصيدة إلى شاعر أو مقالة إلى كاتب يعمد إلى فهم روح ذلك الشاعر أو ذاك الكاتب باطلاعه على قصائده وكتاباته ، فكيف بمن أراد أن ينسب تأليفاً أو يدخل مصنفاً .

نظر صاحبنا نظرة مقلوبة ، وهذه النظرة كانت جميلة عواقبها لتفضح أمره وترجع الحق إلى نصابه . عمد إلى كتب التراجم وشغله النسخ فأعماه عن فهم روح ياقوت أو تتبع أخباره ، عمد إلى فوات الوفيات وبغية الوعاة واليتيمة ونسى كتابه معجم البلدان ، أو قل أمامه تصفح هذا الكتاب الضخم فرغب عنه لزهده فيه ، فكان هذا الكتاب خير برهان أزاح الستار عن الخمسة أجزاء الدخيلة

١ – أما البراهين فكثيرة ، ذكر ياقوت فى معجم البلدان كثيراً من الكتاب والمؤلفين فقال بأنه ذكر تراجمهم فى معجم الأدباء ومن جملتهم عين القضاة عبد الله بن محمد [١] ، وأبو بكر الأدفوى [٢] ، وأسعد بن على النحوى ، وابنه محمد النساد [٣] ، ولكننا إذا زعجنا إلى معجم الأدباء نراه خلواً من تراجم هؤلاء .

٢ – جاء فى أول نسخة خطية قديمة لكتاب الألفاظ الكتابية ترجمة مختصرة لمؤلف الكتاب عبد الرحمن الهمذانى نقلا عن معجم الأدباء ونرى أن لا أثر فى معجم الأدباء لهذه الترجمة

٣ – وأبلغ برهان ساطع ومضحك فى الوقت ذاته هو أن ياقوت ذكر فى معجم البلدان ج ٤ ص ١٢٥ قصيدة لأبى العيناء فى دير بشهرا من رواية الشابشتى ولكنه أردفها بقوله : إن صح – أى شعر أبى العيناء – فهو عندى غريب لأن أبا العيناء قليل

(١) انظر معجم البلدان ج ٨ ص ٢٢٠

(٢) ج ١ ص ١٢٦

(٣) ج ٣ – ١٥٦

الشعر جداً لم يصح عندى له شىء من الشعر ألبتة » وفى معجم الأدباء نرى لأبى العيناء تسع قطع من الشعر ، ولا يخفى أن ياقوتاً ألف معجم الأدباء قبل تأليفه معجم البلدان ، فهذا تناقض لا يمكن أن يصدر عن مثل ياقوت .

٤ — قال ياقوت فى مقدمة معجم الأدباء إنه جمع فيه من غلب عليه النثر والتأليف وأما من غلب عليه الشعر ولم يشتهر بكتابة الكتب وتأليفها فقد ذكره فى معجم الشعراء، وإننا لنرى فى الخمسة الأجزاء الأخيرة كثيراً من الشعراء والشاعرات الذين لم نعرف عنهم سوى بضع قطع وليس لهم فى عالم النثر والتأليف ذكر ، وهذا تناقض فى الكتاب نفسه .

والآن أستطيع أن أقول للكاتب السيد محمد فهمى عبداللطيف الذى ركن إلى رأى المؤرخ ياقوت فى كيفية ضبط لفظ لقب « المبرد » فى الصفحة ٩١٦ من السنة الخامسة من سنى هذه المجلة ، أستطيع أن أقول له الآن إنه أجهد نفسه فى غير طائل لأن الضبط الذى وجده فى كتاب ياقوت لم يجر ياقوت فيه قلمه وإنما نُقل إلى الكتاب حديثاً فى جملة ما نقل إليه من كتاب بغية الوعاة للسيوطى .

(حلب) آمد

جاء الإشكال من الإشكال

أُشكل شطر ذاك البيت فى (إرشاد الأريب) بهذه الصورة :

حالى بحمدِ اللهِ حالٌ جيِّدهْ

فجاء الإشكال من الشكل أو من الإشكال ، وما كان لى أن يشكل علىّ . والحق مع الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد يوسف نجاتى فى الذى قاله فى الرسالة الغراء ٦٢٦ فى هذا الوقت .

محمد اسعاف النشاشيبى

تحية الى « الرسالة » وكتابها

أثلج منا القلوب ، وأبهج النفوس ، أن نرى « الرسالة » المجيدة فى أعدادها الأخيرة تفسح صدرها كله لأبحاث قيمة تمت إلى مأساة سوريا الشقيقة ، ومأساة لبنان من قبلها ، حتى أن الرسالة كانت أوسع الصحف والمجلات المصرية طراً للدفاع عن حقوقنا واستنكار اعتداءات فرنسا الشنيعة بين الآونة والأخرى على استقلالنا ، على الرغم من أن هذه المجلة أدبية قبل كل شىء ، ونحن لا ندخر وسعاً فى الثناء على موقف الصحافة المصرية بالإجمال ، اليومية منها والأسبوعية ، لما تلقاه بلادنا من عطف وحب ودفاع عنها ، فأحر بنا أن نخص « الرسالة الأدبية » بثنائنا وشكرنا وتحيتنا الخالصة أن تهتم لنا هذا الاهتمام البالغ ، وتعنى بأبنائنا هذه العناية ، فلقد كنا — والحق يقال — نتهافت على أعدادها الأخيرة لترضى — قبل كل شىء — عاطفتنا الوطنية الثائرة ؛ ولكن لم يكن ليغرب عن أذهاننا أن هذه المجلة العزيزة ترمى إلى تحقيق هدف سام يخيل إلينا أن الأدب العربى قصر حتى الآن فى السير إليه ، وأقصد به « الأدب القومى العربى » . فالرسالة تشعرنا اليوم أنها تقصد إلى إيقاظ هذه النزعة القومية العليا فى الأدب العربى ، فتريد إلى صفاته لوناً جديداً يميزه كل الميزة ويبرز خصائصه إلى حد بعيد ، وبذلك تحقق هدفين فى آن واحد : تشاركنا عواطفنا ووطنيتنا ، وتساعد على خلق الروح القومية فى الأدب العربى الحديث الذى يفتقر — ولا شك — لمثل هذه الروح . فشكراً لك أيتها « الرسالة » ، وتحيتنا لكتابك الأفاضل

(بيروت) سهيل ادريس



من أروع القصص الانكليزي

مغامرات ممثـــــل جوال

للكاتب الشاعر الانكليزي گولد سمث

بقلم الأستاذ يوسف روشا

ولد أوليفر جولد سمث فى ١٧٢٨ وتوفى فى ١٧٧٤ وكان أحد أعضاء « النادى الأدبى » الذى كان يرأسه الأديب الانكليزى الكبير الدكتور جونسون .

ولأوليفر جولد سمث أسلوب فى الكتابة يسيل رقة وعذوبة ، وان مؤلفاته على قلتها تعتبر من أروع الأدب الانجليزي

أنا شديد الكلف باللهو أنى وجدته ، وإن النكتة البارعة وإن ألقيت فى ثوب خلق ، فهى أبداً حبيبة إلى نفسى . ذهبت منذ بضعة أيام إلى متنزه « سانت جيمس » فى الوقت الذى يتركه زائروه لتناول العشاء . ولم يكن هناك سوى أناس قلائل ممن كانت تبدو على ملامحهم آثار الفقر والمسغبة ، فخططت نفسى على أحد المقاعد ، بينما جلس على الطرف الآخر من المقعد رجل فى ثياب رثة جداً

ظللنا نهمهم ونغمغم ونسعل كما هى العادة فى مثل هذه الحالة ، وأخيراً اجترأت على الكلام مخاطباً إياه : « معذرة يا صاحبى ، ولكن يخيل لى أنى رأيتك من قبل . إن ملامح وجهك ليست غريبة عنى » . فأجابنى قائلا : « أصبت يا أخى كبد الحقيقة . إن وجهى لا يكاد يجهله أحد ، كما يزعم أصدقائى ، وإن شهرتى فى جميع أنحاء انكلترا لا تقل عن شهرة الجمال والتماسيح . ولا يخفى عليك ياسيدى بأنى كنت طيلة الست عشرة سنة الأخيرة ، أقوم بدور البهلول فى فرقة تمثيلية . ولقد نشب بينى وبين أستاذى خلاف افترقنا على أثره فراح هو ليبيع أشياءه فى شارع « روزمارى » وأنا جئت لأموت جوعاً فى متنزه « سانت جيمس »

« يؤسفنى جداً يا سيدى أنك تعانى كل هذا الضيق ، وأنت على ما أنت عليه من نباهة الذكر وذيوع الصيت » . فرد على مواصلا الحديث : « نباهتى فى خدمتك يامولاى ، ولكن على الرغم مما أنا عليه من إملاق ، فإن ثمة قليلا من الناس هم أمرح منى نفساً ، فلو قدر أن يكون لى عشرون ألفاً من الدنانير لكنت من أسعد الناس . وأنا الآن ، والحمد للمقادير ، لا أملك فلساً واحداً ، ومع هذا ، فإنى لا أزال سعيداً ، ذلك لأنى لا أقيم وزناً للمال ، فهو عندى وسيلة لا غاية ؛ فإذا ما حرمته لا أجد غضاضة من قبول دعوة الكرماء إياى للطعام . والآن ما رأيك ياسيدى فى لحم حنيذ مع قدح من الشراب ؟ فإن أنت أطعمتنى اليوم ، فلسوف أطعمك يوماً من الأيام عند ما أجدك فى المتنزه وأنت أشد ما تكون رغبة فى الطعام ، وليس لديك من المال ما تدفع به ثمن العشاء »

ولما كنت لا أبخل أبداً بدريهمات أنفقها فى سبيل رفيق طروب قصدنا تواً حانة مجاورة ، ولم تمض سوى دقائق معدودات حتى كان الطعام والشراب مصفوفين على المائدة أمامنا . وإنه لمن العسير جداً أن أصف مبلغ طربه وانشراحه لرؤية الطعام والشراب فقال : « أنا استمرىء ياسيدى هذا العشاء لأسباب ثلاثة : أولا : لأنى أحب لحم البقر ؛ وثانياً : لأنى جوعان ؛ وثالثاً : لأنى أحصل عليه بلا ثمن ؛ إذ ليس هناك أشهى من اللحم الذى لا ندفع ثمنه »

لم يثنه من كلامه هذا حتى أقبل على الطعام والشراب بنهم فائق ، فلما انتهى العشاء أشار إلى أن اللحم كان نيئاً ، ثم استطرد وقال : « ومع هذا فقد وجدته لذيذاً سائغاً ، ما أفسح حياة الفقير وما أعظم شهيته ! نحن معشر الشحاذين لقطاء الطبيعة نهيم فى كل سرح ، ونأخذ الحياة على علاتها ، فإن هى أقبلت علينا فرحنا بها واغتبطنا ، وإن هى أدبرت عنا لم نشتك ولم نتذمر . أما الأغنياء ، فالطبيعة تعاملهم كما تعامل الربة أولاد زوجها ، فهم أبداً برمون بها ساخطون عليها ، أعطهم قطعة من غريض اللحم ، فإذا هى عندهم صلبة عسيرة الهضم ، أمزجها بالتوابل ، حتى التوابل لا تستطيع أن تشحذ شهيتهم ، على حين أن الطبيعة شديدة الحدب على الشحاذين ترعاهم بعنايتها

وتكلؤهم برحمتها . إن الخمر المعتقة لأحلى مذاقاً من الشمبانيا ... السرور ... السرور ... تلك هي فلسفتي في الحياة ، وهي قطعة من لحمي ودمي ، فإن فاض النهر وغرقت نصف أراضي « كورنوول » ألفيتني مطمئن النفس مرتاح البال ، إذ ليس لي أملاك هناك ، وإن ساءت أحوال السوق وتدهورت الأسعار ... نمت ملء جفوني ، فما أنا ممن تهمهم هذه الأمور ، إذ لست يهودياً » .
ولقد أغراني مرحه وخفة روحه ، على الرغم من فقره المدقع ، أن أعرف شيئاً من حياته ؛ فقلت ملتمساً منه تلبية طلبي فأجاب : « بكل سرور يا مولاي ، ولكن على شريطة أن نشرب قليلا لندفع عن أعيننا النعاس . لنشرب قدحاً آخر قبل أن يهجم الكرى على أجفاننا ... آه . . ما أجمل منظر القدح وهو ملآن!

« يجب أن تعلم إذن أني أنحدر من أرومة طيبة وأن أسلافي قد أحدثوا بعض الضجة في العالم ، ذلك لأن أمي كانت تبيع « المحار » وأن أبي كان طبّالاً . ولقد قيل لي إنه قد كان في عائلتي أيضاً بعض البواقين . فهل تراني بعد هذا مبالغاً إذا قلت إن قليلا من الأشراف من يضاهونني في الحسب والنسب ؟ ولما كنت الابن الوحيد لوالدي فقد أرادني ، على أن أكون طبالاً مثله ، وعلى الرغم مما كان يبذله معي من الوقت والأناة ، لتعليمي الأناشيد العسكرية ، لم أتقدم خطوة واحدة ، ذلك لأني لم أكن ميالا إلى الموسيقى ، فانخرطت في الجيش وأنا في الخامسة عشرة من عمري . ولم ينقض يوم واحد حتى تبين لي أن كراهيتي لحمل البندقية لم تكن لتقل عن كراهيتي لدق الطبل ، ذلك لأن الطبيعة قد أعدتني لأكون سيداً لا مسوداً . إن وجودي في الجيش يحتم على إطاعة أوامر رئيسي التي يفرضها عليّ ، وليست أوامره إلا ظلا لأهوائه ورغباته ، وإنه لمن الأجدى على الشخص أن يطيع رغباته لا رغبات سواه .

« لذلك لم يمض وقت طويل حتى أصبحت ضيقاً بحياة الجندية شديد المقت لها فعولت على الاستقالة ، ولكن الرئيس رفض استقالتي ، لأني كنت طويل القامة مفتول العضل ، فاسودت الدنيا في عيني ولم يبق أمامي إلا الاستنجاد بوالدي فبعثت إليه برسالة ، كلها شكوى واستعطاف ، طلبت فيها منه أن يجمع المبلغ الكافي لإخراجي من الجندية ولكن الرجل الطيب القلب كان شديد الولع بالخمر ، كما كنت أنا حينئذ ، (في خدمتك يا مولاي) وأن الذين هذا شأنهم لا ينتظر منهم أن يدفعوا رسم التسريح من الجندية — وقصارى الحديث ، لم يرد والدي على رسالتي ألبتة . ما العمل إذاً ؟ قلت لنفسي : لما كنت لا أملك المال الكافي لشراء حريتي فما عليّ إلا أن ألتمس وسيلة أخرى وهي الهرب ، وفعلا هربت .

وهكذا تخلصت من الجندية وبلائها فبعت ثيابي العسكرية واشتريت أسوأ منها وسلكت ما أمكن سبلا غير مطروقة . في أمسية يوم من الأيام ، بينما كنت أدخل إحدى القرى ، إذ أبصرت رجلا — علمت فيما بعد إنه قسيس القرية — قد وقع عن فرسه وغاص في الوحل . فتقدمت لمساعدته وانتشلته بمشقة فشكرني على صنيعي ، إلا أني لحقته إلى داره إذ كنت أحب دائماً أن يشكرني الناس عند أبواب دورهم ، فألقى علي القسيس مائة سؤال وسؤال : ابن من أكون؟ ومن أين جئت ؟ وهل أكون أميناً ؟ فأجبته كما يجب مؤكداً له بأني لم أذق الخمر في حياتي قط (لي الشرف يا مولاي أن أشرب نخب صحتك) ، وبأني من أتقى خلق الله نفساً وأرجحهم عقلا . وقصارى الكلام ، لقد كان بحاجة إلى خادم فاستخدمني ولكني لم أعش معه إلا شهرين ، ذلك لأنه يكن يحب أحدنا الآخر . فقد كنت أكولا وهو لم يكن يطعمني إلا ما يسد الرمق . وقد كنت مغرماً بالجواري الرعابيب على حين أن خادمته العجوز كانت شرسة الطباع قبيحة الصورة . ولقد تآمرا فيما بينهما على قتلي جوعاً فعقدت العزم على أن أحول دون اقترافهما جريمة القتل . كنت أسرق البيض حال وضعه ، وكنت أفرغ في جوفي ما يتبقى في قناني الشراب التي تقع في يدي ، وكان كل ما أصادفه في طريقي من الأكل لابد أن يختفي في لمح البصر . وقصارى الحديث لقد رأيا أن لا فائدة من بقائي ففصلت صباح يوم من الخدمة ودفع لي ثلاثة شلنات وستة بنسات لقاء أجور شهرين كاملين .

« وبينما القس يعد الدراهم كنت أنا أتهيأ للرحيل . كانت ثمة دجاجتان تبيضان فدخلت عليهما كالعادة وأخذت البيضتين . ولقد عز علي أن أفرق بين الأم وولدها فأخذت الدجاجتين أيضاً ووضعت الكل في حقيبتي وقفلت راجعاً لتسلم أجوري . فلما

أزف الرحيل وقفت ، والحقيبة على ظهري والعصا في يدي ، أودع الشيخ والعبرات تنهمر من عيني . لم أبتعد عن الدار إلا خطوات حتى سمعت صوتاً من ورائي يصيح « اقبضوا على اللص » ولكن الصوت زاد في سرعتي فانطلقت كالسهم ، وإن كنت أعلم علم اليقين أن الصوت لم يكن موجهاً ضدي . ولكن مهلا ... يخيل لي أني قضيت ذينك الشهرين بلاشراب . هات ياصاح ، فإن الأيام عصيبة ولكن هذا الذي أحتسيه سماً في جوفي إن أنا قضيت شهرين آخرين من حياتي في ورع مصطنع وزهد سخيف .

« لم أترك خدمة القس حتى أخذت في التطواف ، وبعد أيام من تجوالي عثرت على جوقة من الممثلين المتجولين فمارأيتهم حتى هفا لهم قلبي ، ذلك لأن حبي للتشرد والمتشردين طبيعي لا تكلف فيه . كانوا منهمكين في ترتيب حقائبهم التي انقلبت في طريق ضيق فعرضت عليهم مساعدتي فقبلوها . وما أسرع ما تعارفنا وتآلفنا فأخذوني خادماً لهم . كانت الحياة مع هؤلاء جنة حقا فهم لا ينفكون يغنون ويأكلون ويقصفون ويطوفون في آن واحد . وحياة الأنبياء ما كنت أحسبني أعيش قبل ذلك ، فقد أصبحت من أمرح الناس طراً ؛ وكنت دائم الضحك لسبب أو لغير سبب . ولقد أحبوني كما أحببتهم وكان لي ، كما ترى ، شأن كبير ولكني على فقري ، لم أكن معتدلا في حياتي .

« إن حياة التشرد كما أسلفت أحب إلي من كل شيء في العالم . فاليوم حر وغدا قر ، واليوم عسر وغدا يسر . آكل متى وسعني الحصول على الطعام ؛ واشرب (القدح فارغ) متى وجدت الخمر إزائي . لقد وصلنا « تنتردن » ذلك المساء فاستأجرنا غرفة واسعة حيث عزمنا على إخراج رواية « روميو وجولييت » فقام بدور « روميو » أحد الممثلين من مرسح « درورى لين » وقامت بدور « جوليت » سيدة لم يسبق لها الظهور على المرسح ، بينما أخذت أنا على عاتقي إطفاء الشموع . كان التمثيل بالنسبة لنا ، رائعاً على الرغم مما كان ينقصنا من وسائل ، فإن الثوب الذي كان يرتديه « روميو » كنا نقلبه على بطانته الزرقاء فيصلح لباساً لصديقه « مركوتيو » وأن قطعة من « الكرب » كبيرة كانت تكفي في آن واحد فستاناً « لجوليت » وغطاء للنعش . ولم يكن لدينا ناقوس فاستعضنا عنه بهاون استعرناه من صيدلية مجاورة ثم جمعنا عائلة صاحب الدار فدثرناهم بملاءة بيضاء لإكمال الموكب . وقصارى القول ، لم يكن ثمة سوى ثلاثة ممثلين نستطيع أن نقول بأنهم كانوا يرتدون ألبسة لا غبار عليها وهم الممرضة والصيدلي الجوال وأنا . كان التمثيل ، كما قلت ، رائعاً ؛ ولقد هتف لنا الجمهور طويلا ، ولا عجب ، فإن لسكان « تنترن » ذوقا .

« فإذا أراد الممثل الجوال لنفسه النجاح فما عليه — على حد تعبيرنا — إلا أن يبالغ في محاكاة الشخصية التي يقوم بتمثيلها . ذلك لأن مراعاة الدقة في الكلام والحركة ومحاولة إبراز الشخصية على صورتها الطبيعية لا يسمى تمثيلا ولا هو مما يأتي الناس لمشاهدته . أن الحوار الطبيعي الذي لا تكلف فيه هو كالسلاف الحلو المذاق ينحدر إلى الحلق بسهولة دون أن يترك وراءه طعماً ، على حين أن الإمعان في المغالاة والمبالغة كالخل يثير الإحساس ويشحذ الذوق ولا يشعر به إلا شاربه . وعليه فإن رمت إرضاء الناس وجب عليك أن تصرخ وتتلوى وتتنطع بكلامك وتضرب جيوبك وتظهر أمام النظارة كأنك تعاني آلاماً مبرحة ؛ فإن أنت عملت كل هذا فزت باستحسان الناس وأصبحت ممثلا يشار إليك بالبنان .

« ولما كان التوفيق حليفنا كان من الطبيعي أن أعزو قسماً من النجاح لنفسي . لقد أطفأت الشموع ؛ ودعني أقول لك إنه لولاي لفقدت القطعة نصف رونقها .

« ظللنا نمثل على هذه الصورة أسبوعين كاملين كانت الدار في أثنائها تكتظ بالنظارة . وقبل الرحيل بيوم واحد أعلنا على الملأ بأنا سنختتم موسمنا بأعظم رواياتنا التي سنبذل في سبيل إخراجها كل ما لدينا من جهد ومال . ولقد كنا نعلق آمالا جساماً فضاعفنا الأجرة . وبينا نحن في نشوة الأمل غارقون إذا بكبير ممثلينا يصاب بحمى صالب ؛ فذعرنا وشق ذلك على جماعتنا الصغيرة فقررنا الذهاب إليه جميعنا لتوبيخه وزجره لمرضه في وقت غير مناسب كهذا ، وخاصة لابتلائه بمرض قد يحتاج لمعالجته مالاوفراً . فانتهزت أنا هذه الفرصة وعرضت نفسي لأحل محله فقبلوني ، فجلست تواً ، والدور في يدي والكأس أمامي ، (بحب صحتك مولاي) أدرس الشخصية التي سأؤدي الامتحان عنها غداً وأقوم بتمثيلها بعد ذلك بقليل .

« ولقد وجدت أن ذاكرتى تسعفنى كثيراً وقت الشراب إذ تعامت دورى بسرعة مدهشة فطلقت دور « إطفاء الشموع » منذ ذلك الحين لأن الطبيعة قد أعدتنى لوظيفة أسمى من هذه وأشرف ، ولقد قطعت على نفسى عهداً ألا أخيّب ظنها بى .

« فلما كان الغد اجتمعنا لأجراء «البروفا» فأخبرت زملائى ، وقد كانوا أساتذتى بالأمس ، عن التغيير العجيب الذى طرأ على وقلت : ليطمئن المريض فى فراشه ولا يشقين نفسه فى أمر الشفاء فإنى سأقوم بدوره أحسن قيام ، وسيدهش الناس من براعتى ونبوغى وليمت إن شاء فإنى أعده بأنه سوف لن يفتقد .

« ابتدأنا بالبروفا ، فرحت أتبختر أمامهم وألغط بكلام غير مفهوم فيعج المكان بالتصفيق والاستحسان وسمعت ، أو يخيل لى أنى سمعت صوتاً يقول : « ها قد بزغ نجم متألق فى سماء التمثيل » فلم يعد السكون يسعنى فقررت بينى وبين نفسى على أنى لما كنت السبب فى استدرار المال على الجمعية فيجب أن يكون لى فى الربح نصيب . فأنشأت أخاطب الجماعة قائلا : « أيها السادة ، إن الذى سأقوله لكم ليس أمراً أريد فرضه عليكم كلا . فلست والحمد لله ناكراً للجميل إلى هذا الحد . ولكن لما كنتم قد تفضلتم على بنشر اسمى فى الإعلانات ، وتلك منة لن أنساها ما حييت ، فلا يسعكم والحالة هذه الاستغناء عنى ، ولذلك فإنى أرجو أن تدفعوا لى جعلا أسوة بكم ، وإلا عدت إلى دورى القديم وهو « إطفاء الشموع » . لقد كان هذا الاقتراح شديد الوطأة عليهم ، ولكن لا بد مما ليس منه بد ، فأذعنوا وأنوفهم فى الرغام . فلما حان الوقت ولجت المرسح فى ثياب الملك « بجازات » وحاجباى المقطبان قد شد طرفاهما بجورب دس فى عمامتى ويداى المغلولتان تلوحان بالسلاسل . لكأن الطبيعة قد اختارتنى لهذا الدور فقد كنت مديد القامة جهورى الصوت ، وإن مجرد دخولى المرسح آثار عاصفة من الهتاف والتصفيق ، فدرت بنظرى على الجمهور مبتسما وانحنيت أمامهم انحناءة كاد فيها رأسى يامس الأرض ، فتلك عادة شائعة بيننا . ولما كان الدور عاطفياً للغاية ، فقد أنعشت نفسى بثلاث كؤوس ملآى (الكأس موشكة على النفاد) من الكونياك . لله ما أروع الدور الذى قمت به ! إن « تامرلين » يكاد يبدو ضئيلا بجانبى ، وهو وإن كان صوته يرتفع أيضاً فى بعض الأحيان ، إلا أن صوتى كان يعلو عليه ، كان لى ثمة مواقف كثيرة مجيدة ، منها أنى كنت أطوى يدى هكذا فوق سرتى ، وهى عادة مستحبة فى « درورى لين » وإذا أنا رحت فى تعداد مزاياى لنفدت الكأس قبل أن أنتهى من سردها . وقصارى الكلام ، إن تمثيلى كان أعجوبة الأعاجيب مما جعل أعيان البلد من الرجال والنساء يتهافتون على بعد انتهاء التمثيل لتهنئتى على نجاحى الباهر ، فمنهم من مدح صوتى ، ومنهم من أثنى على قامتى ، ولقد سمعت امرأة العمدة تقول : « أقسم لكم بشرفى إنه سيصبح من أقدر الممثلين فى أوربا ، أقول ذلك عن علم ودراية ، وإن لى فى هذا الفن لذوقاً »

« إن المديح الذى يغمرنا به الناس فى أول عهدنا بالتمثيل شىء طبيعى ومقبول ولا يقصد منه سوى التشجيع ، ونحن نتقبله شاكرين ، ونعده فضلا منهم علينا ، أما إذا استمر المديح وكثر فنحن والحالة هذه نعتبره ديناً لنا عليهم نتقاضاه منهم بمقدرتنا ونبوغنا ، وعليه عوضاً عن أن أشكرهم كنت فى داخلى أثنى على نفسى . ولقد طلب إلينا الجمهور إعادة القطعة للمرة الثانية فأجبناه إلى طلبه ، وكان نصيبى من الثناء أكثر من ذى قبل

وأخيراً تركنا المدينة لنحضر سباقاً للخيل ، وسوف لا أذكر « تنتردن » إلا انهمرت من مآقى دموع الامتنان والاحترام ، ذلك أن السيدات والسادة هناك كانوا على جانب عظيم من الدراية بالتمثيل والممثلين . هات لنشرب ، نشدتك الله نخب صحتهم ؛ قلت تركنا المدينة ، ولقد كان ثمة فرق عظيم بين دخولى إليها وخروجى منها ، دخلت المدينة ممثلا حقيرا وخرجت منها بطلا كبيرا ، تلك هى الحياة ، تقبل يوماً وتدبر يوماً ، وإن شئت لتوسعت فى الموضوع ولذكرت لك شيئاً كثيراً عن تصاريف الزمان وتقلبات الأيام ، ولكن ما لنا ولهذا ، فإن فى إثارته ، إثارة لكامن شجوننا .

« انتهى السباق قبل أن نصل المدينة الثانية التى خذلتنا جميعاً ، ولكن ليس من السهل قهرنا ، ذلك أننا عزمنا على أن نجرب حظنا عسى أن نظفر منها ببعض الذى ظفرنا به فى المدينة الأولى . وقمت أنا بالأدوار الرئيسية وارتفعت فيها إلى الذروة كالعادة . وإنى لا أزال أعتقد لو أن ملكاتى أعطيت ما تستحقه من العناية

والرعاية لأصبحت اليوم من أبرز الممثلين في أوربا ، إلا أن عاصفة هوجاء اقتلعتني في مهدي وردتني إلى مستوى النونا . كنت أمثل دور السير «هاردي ولدير» فأدهشت السيدات براعتي وأطربتهن . فإن أنا أخرجت علبة النشوق ضجت القاعة بالضحك ، وإن أنا لوحت بهراوتي في السماء سرت في النظارة قشعريرة الخوف والفزع .

« وكان ثمة سيدة سبق لها أن تثقفت في لندن لمدة تسعة أشهر فأخذت تزعم لنفسها الإلمام بالمسائل الفنية مما جعلها قبلة الأنظار في أي محفل حلت . ولقد أخبروها عني وعن موهبتي ولكنها رفضت ، أول الأمر ، الذهاب لمشاهدة تمثيلي ، زاعمة أنها لا تتوقع من ممثل جوال ضئيل الشأن مثلي أن يجيد التمثيل . ثم مالت بالحديث إلى الممثل الذائع الصيت « كاريك » فأطرته وعددت مزاياه وأدهشت السيدات بنبراتها العذبة وصوتها الرصين . ولقد أقنعوها آخر الأمر بمشاهدتي ، وترامى إلي سراً أن جهبذة من أبرز جهابذة العصر في شئون المرسح ستحضر الحفلة المقبلة ، ولكن ذلك لم يخفني فظهرت في ثياب السير « هاري » واضعاً يداً في جيب البنطلون والأخرى على صدري ، كما هي العادة في «دروري لين» .

إلا أن النظارة ، عوضاً عن أن ينظروا إلي ، اتجهوا بأنظارهم إلى السيدة التي قضت تسعة أشهر في لندن ، ليتلقوا حكمها الذي إما سيرفعني إلى مصاف النابغين من الممثلين أو سيدني إلى الحضيض . أخرجت علبتي ، فأخذت منها نشقة ، ولكن السيدة لم تحرك ساكناً وكذلك النظارة . فأخذت عندئذ هراوتي وأهويت بها على ظهر العمدة الهرب حتى تكسرت ، فما تململ أحد ، كأنما الوجوم قد نشر أطنابه على الحاضرين فدمدت السيدة وغمغمت وهزت كتفيها استخفافاً ، فحاولت بضحكي أن أفوز منهم ولو بابتسامة ولكن وجوههم الباسرة ازدادت إغراقاً في العبوس ، فدارت بي الدنيا وأصبحت حركاتي مصطنعة وضحكاتي « هستيرية » . ومهما تكلفت إذ ذاك من المرح وخفة الروح ، فإن عيني كانتا تفيضان بما كان يجثم على صدري من الهم والغم . وقصارى الكلام ، لقد حضرت السيدة وفي عزمها إيذائي وقد فعلت ، سامحها الله ، وهكذا انتفت شهرتي ونفد شرابي بينما أنا لا أزال ، كما ترى ، حياً أرزق .

يوسف روشا
